

العملية العسكرية "الإسرائيلية" الثانية على قطاع غزة (عامود السحاب تشرين الثاني/ نوفمبر
٢٠١٢): "الأهداف والنتائج"

The Second "Israeli" Military Operation on the Gaza Strip (Pillar of Cloud November 2012): "Objectives and Results "

Ibrahim M. Habib

د. إبراهيم محمود حبيب

PHD in Strategic studies

دكتوراه في الدراسات الاستراتيجية

Palestinian police college

كلية الشرطة الفلسطينية

Palestine - Gaza

غزة - فلسطين

Email: prf.habib@gmail.com

بريد إلكتروني:

ملخص:

يتناول البحث دراسة العملية العسكرية "الإسرائيلية" على قطاع غزة (عامود السحاب تشرين الثاني/نوفمبر ٢٠١٢) بالبحث والتحليل للوصول إلى أهم النتائج، ومعرفة مدى التأثير الذي أحدثته؛ حيث تمت دراسة العملية من خلال ثلاثة محاور رئيسية، المحور الأول: يستعرض أهداف العملية، التي وصلت إلى عشرة، منها ما هو عام، ومنها ما هو خاص، في حين بحث المحور الثاني العوامل التي دفعت "إسرائيل" لقبول التهدئة وفقاً لشروط المقاومة الفلسطينية، حيث تم رصد سبعة عوامل، هي: رد المقاومة الفلسطينية المفاجئ بأشكاله المتعددة، وحدة المقاومة، انتفاضة الضفة، الموقف المصري الجديد، الموقف الأمريكي، الموقف الدولي، وأخيراً الجبهة الداخلية "الإسرائيلية"، أما المحور الثالث فيستعرض نتائج وتداعيات هذه العملية، التي تمثلت في اتجاهات عدة، أولها: تغيير قواعد معادلة الصراع العربي "الإسرائيلي"، من خلال ثلاثة متغيرات جديدة، هي: المتغير الفلسطيني الداخلي، الذي تمثل بتحقيق الوحدة الوطنية قبل إتمام المصالحة السياسية، متغير القوة العسكرية للمقاومة الفلسطينية، الذي فرض وقائع جديدة للصراع، المتغير الإقليمي المتمثل بالموقف المصري الجديد، الذي أثبت قدرته على إعادة صياغة مفاهيم التعامل مع "إسرائيل" والضغط عليها لقبول التهدئة دون الدخول في صراع معها، هذا بالإضافة إلى نتائج أخرى عديدة، منها ازدياد التأييد الشعبي للمقاومة المسلحة فلسطينياً وعربياً، وفقدان "إسرائيل" لعنصر الردع أمام المقاومة، وإنهيار صورتها النمطية المرعبة في عقلية الشعوب العربية، الأمر الذي ستكون له تداعيات خطيرة على مستقبلها العسكري في المستويين المتوسط والبعيد.

الكلمات المفتاحية: المقاومة الفلسطينية، القذائف الصاروخية، العملية العسكرية، العدوان، قطاع غزة، (حماس)، "إسرائيل".

The Second "Israeli" Military Operation on the Gaza Strip - Pillar of Cloud November 2012: Objectives and Results

Summary: This research examines the second "Israeli" military operation on the Gaza Strip (Pillar of Cloud in November 2012) and seeks to analyse its results and impact.

This research consists of three main themes. The first theme explain the objectives of the military operation, which amounted to ten, while second theme studies the factors behind the "Israeli" acceptance of the truce, based on the conditions of the Palestinian resistance movements, which are seven factors: the sudden reaction of the Palestinian resistance movements and its multiple forms, the unity of resistance movements, the uprising of the West Bank, the new Egyptian position, the U.S. position, the international situation, and finally the "Israeli" Interior front.

The third theme of this research review the results and consequences of the Israeli military operation, which was in several directions; first, change of rules of the Arab-"Israeli" conflict equation, through three new variables which are: Palestinian achievement of national unity before the accomplishing the reconciliation process, military power of the Palestinian resistance movements, which added new facts to the conflict, the regional variable of Egypt's new position, which proved its ability to

reformulate concepts dealing with "Israel" to pressure it to accept the truce with the Palestinians without entering into conflict with them, in addition to many other results, including increasing public support for the armed resistance movements and lose of "Israel" element of deterrence against the resistance movements, and the collapse of its stereotypical image of strong power, which would have serious implications for the future.

Key words: Palestinian resistance, rockets, the military operation, military aggression, the Gaza Strip,(Hamas), "Israel"

أولاً: مقدمة.

منذ استيلائها على فلسطين، وتهجير أهلها قبل ما يزيد عن أربعة وستين عاماً لم تدخر "إسرائيل" جهداً في سبيل إنهاء المقاومة الفلسطينية لمشروعها بشتى الطرق، سواء بالتكليل أو بالتدجين، ولكن برغم كل تلك الجهود بقيت المقاومة الفلسطينية صامدة، وتعززت قدراتها بشكل واضح بعد اندلاع انتفاضة الأقصى في الثامن والعشرين من أيلول/ سبتمبر من عام ٢٠٠٠م، الأمر الذي دفع "إسرائيل" إلى مضاعفة اعتداءاتها على الفلسطينيين في الضفة والقطاع، وشنت عدوانها الكبير على الضفة الغربية عام ٢٠٠٢م الذي أطلقت عليه اسم (عملية السور الواقفي)، وأعدت على إثره احتلال الضفة، في حين بقيت المقاومة الفلسطينية في غزة تراكم نجاحاتها، الأمر الذي جعل أثرها واضحاً في قرار "إسرائيل" بالانسحاب من قطاع غزة وهو ما شكل دفعة كبيرة للمقاومة المسلحة التي كانت تقودها حركة المقاومة الإسلامية (حماس)، التي فازت في الانتخابات التشريعية الفلسطينية التي نُظمت في يناير عام ٢٠٠٦م، وهو أمر لم يقبل به كل أعداء الشعب الفلسطيني، وعلى رأسهم "إسرائيل" التي بذلت كل المحاولات لإسقاط حكم حكومة (حماس)، التي بدورها سخرت كل جهودها لدعم المقاومة، فحاولوا إشعال حرب أهلية فحسمت (حماس) المواجهة وفرضت سيطرتها على قطاع غزة منفردة، فشددوا الحصار الذي لم يجد نفعاً، فكانت العملية العسكرية "الإسرائيلية" الكبيرة على غزة (الرصاص المصبوب ٢٠٠٨-٢٠٠٩) التي فشلت أيضاً في اجتثاث المقاومة، وبالتالي قويت شوكة الأخيرة التي أصرت على مواجهة الاعتداءات "الإسرائيلية" المتكررة، التي كان آخرها استهداف بيت للعزاء في حي الشجاعية في ١٠ أيلول/ سبتمبر من عام ٢٠١٢م راح ضحيته عدد من الشهداء والجرحى.

وبعد انتهاء اجتماعها الساعة الثامنة من مساء يوم الاثنين الموافق الثاني عشر من تشرين الثاني/ نوفمبر ٢٠١٢م في فندق الكومودور بغزة، قررت الفصائل الفلسطينية أنها سترد على أي اعتداء "إسرائيلي" على قطاع غزة، خصوصاً بعد ردها على الاستهداف "الإسرائيلي" لبيت عزاء في حي الشجاعية، راح ضحيته عدد من المدنيين بين شهيد وجريح. وأكدت فصائل المقاومة أنها ستلتزم بالتهدة ما دامت "إسرائيل" ملتزمة بها.

كان ذلك في مسعى من فصائل المقاومة، لإتاحة الفرصة للجهود المصرية من أجل التوصل إلى تهدة، خصوصاً بعدما أبلغ الوسيط المصري الحكومة في غزة والفصائل الفلسطينية موافقة "إسرائيل" على التهدة، بحسب ما ورد على لسان خالد مشعل رئيس المكتب السياسي لـ(حماس)،^[١] إلا أن إرهابات العملية العسكرية على قطاع غزة بدأت من تلك الليلة، حيث ذكر "ألكس فيشمان" المحلل العسكري لصحيفة يديعوت

[١] خالد مشعل، برنامج حديث في العمق، تقديم علي الظفيري، لقاء تلفزيوني مباشر على قناة الجزيرة الفضائية، قطر، (٢٠١٢/١١/٢٦).

أحرونوت أن "إسرائيل" حصلت على ضوء أخضر أمريكي ضمنى بالهجوم على قطاع غزة، وأنه لا يمكن التراجع؛ ف(حماس) اجتازت الخطوط الحمراء، ووضعت السياسيين "الإسرائيليين" في الزاوية، وأظهرت الجيش "الإسرائيلي" عاجزاً، وأكد على أن من أهم أهداف العملية العسكرية، وقف إطلاق الصواريخ بعيدة المدى، وذلك بمهاجمة الأهداف العسكرية لحركتي (حماس) والجهاد الإسلامي.^[١]

كما أوردت القناة الثانية "الإسرائيلية" على لسان مراسلها العسكري "روني دانييل": إنه تقرر بعد اجتماع وزير الحرب "يهود باراك" مع رئيس هيئة الأركان "بيني جانتس"، تحديد سبعة أهداف في قطاع غزة سيتم مهاجمتها، إذا ما تواصل إطلاق الصواريخ على البلدات "الإسرائيلية"، وذكرت أن الأهداف تتمثل في مراكز حكومية وسيادية، منازل مقاومين، وممتلكات شخصية وعامة، واغتيالات، وقطع الكهرباء، وإغلاق المعابر، وتوغلات محدودة.^[٢]

منذ الساعات الأولى لصباح اليوم التالي بدأت حركة الطيران الحربي، والاستطلاع تتكثف في ساعات معينة، ثم تختفي تماماً من أجواء قطاع غزة. وفي صبيحة يوم الأربعاء الرابع عشر من تشرين الثاني/ نوفمبر ٢٠١٢م، بدأت "إسرائيل" بخلط الأوراق لإرباك المقاومة، ففي الساعة الخامسة صباحاً بدأ الانتشار كثيف لطيران الاستطلاع خصوصاً في شمال قطاع غزة، وفي حوالي الساعة الثامنة والنصف صباحاً، وكالة سما للأخبار تورد خبراً عن مسئول "إسرائيلي"، أن "إسرائيل" قررت تأجيل التصعيد على قطاع غزة إلى جولة قتال جديدة.

ويحلول الساعة الثانية عشرة ظهراً بدأ الموظفون الأجانب العاملون مع المؤسسات الدولية في قطاع غزة، مغادرة القطاع متوجهين إلى "إسرائيل" عبر معبر بيت حانون (إيرز)، مع العلم أن موعد خروجهم الأسبوعي هو الخميس من كل أسبوع، لذلك كانت هذه الخطوة مؤشراً واضحاً على قرب تنفيذ العملية على قطاع غزة.

[١] أليكس فيشمان، العملية في الطريق، يديعوت أحرونوت، "إسرائيل"، نقلاً عن وكالة معا للأخبار، على الرابط التالي،

<http://www.maannnews.net/arb/ViewDetails.aspx?ID=536658>

[٢] روني دانييل، الجيش "الإسرائيلي" يحدد أهدافه، سبع خطوات تصعيدية على غزة، لقاء تلفزيوني مباشر على القناة العبرية الثانية، الساعة ٩:٣٠ مساءً، (١٢/١١/٢٠١٢).

عند الساعة الرابعة عصراً تمكنت طائرات الاستطلاع الإسرائيلية من اغتيال القائد أحمد الجعبري [١]، نائب القائد العام لكتائب الشهيد عز الدين القسام، ثم اتبعته بسلسلة استهدافات متتالية لقيادات كبيرة في كتائب القسام وسرايا القدس، سقط على إثرها سبعة شهداء. [٢]

وفي تمام الساعة السادسة مساءً أعلن الجيش الإسرائيلي، انتهاء المرحلة الأولى من العملية، وأكد رئيس الوزراء الإسرائيلي "بنيامين نتنياهو"، أنه دمر ٧٠% من القدرة الصاروخية لـ(حماس) والجهاد الإسلامي. [٣]

كان رد المقاومة سريعاً، فبعد ثماني ساعات من بدء العدوان تمكنت كتائب الشهيد عز الدين القسام من قصف تل أبيب، واستمرت وتيرة قصف المقاومة للبلدات الإسرائيلية وصولاً إلى مدينة القدس. الأمر الذي أوجد حالة من خيبة الأمل التي بدت معالمها تظهر بعد مضي اليوم الثالث للعملية؛ لذلك لجأت إسرائيل إلى ممارسة سياستها المعهودة باستهداف المدنيين، في محاولة منها لتسويق نصر موهوم لشعبها، خصوصاً بعد رفض المقاومة للشروط الإسرائيلية، ومطالبتها لإسرائيل بقبول شروطها الخاصة، الأمر الذي نجحت فيه بعد مرور سبعة أيام وخمس ساعات على بدء العدوان، الذي تحقق بالإعلان (المصري - الأمريكي) من القاهرة عن التوصل إلى تهدئة بين الطرفين في تمام الساعة التاسعة من مساء يوم الأربعاء الموافق ٢٠١٢/١١/٢١م، ولتدشن المقاومة الفلسطينية بذلك عهداً جديداً في (الصراع العربي الإسرائيلي).

فلقد سبق لإسرائيل أن أعلنت أنها شنت ما يزيد على (١٥٠٠) غارة جوية على مواقع مختلفة، انظر جدول رقم (١)، وقتلت ما يزيد على (١٧٥) شخصاً معظمهم من النساء والأطفال. انظر كذلك جدول (٢) ودمرت العديد من البيوت والمنشآت العامة. أما خسائرها البشرية فقدت بحسب اعتراف الجيش الإسرائيلي

[١] أحمد بن سعيد الجعبري: المكنى بـ"أبي محمد" (عضو المكتب السياسي لحركة حماس) والقيادي البارز في كتائب القسام، كان على رأس قائمة المطلوبين لإسرائيل التي أطلقت عليه لقب "رئيس أركان حركة حماس". ولد الشهيد الجعبري بحي الشجاعية شرق مدينة غزة عام ١٩٦٠، وحصل على درجة الماجستير تخصص تاريخ من الجامعة الإسلامية بغزة، وله "بصمات قوية في الارتقاء بأداء الجناح العسكري لحركة حماس". اعتقل مع بداية عقد الثمانينيات على يد قوات الاحتلال وأمضى ١٣ عاماً، بتهمة انخراطه في مجموعات عسكرية خططت لعملية فدائية ضد الاحتلال عام ١٩٨٢. وعقب الإفراج عنه عام ١٩٩٥ تركز نشاطه على إدارة مؤسسة تابعة لحركة حماس تهتم بشؤون الأسرى والمحربين، ثم عمل في العام ١٩٩٧ في حزب الخلاص الإسلامي الذي أسسته الحركة في تلك الفترة لمواجهة الملاحقة الأمنية المحمومة لها من جانب السلطة آنذاك. ساهم الشهيد الجعبري عقب الإفراج عنه إلى جانب القائد صلاح شحادة والقائد محمد الضيف في بناء كتائب القسام، ما دفع جهاز الأمن الوقائي التابع للسلطة في العام ١٩٩٨ إلى اعتقاله لمدة عامين بتهمة علاقته بكتائب القسام، وتم الإفراج عنه مع بداية الانتفاضة إثر قصف الاحتلال لمقرات الأجهزة الأمنية في القطاع. تعرض للعديد من محاولات الاغتيال من قبل إسرائيل، كان أبرزها تلك التي نجا منها بعد إصابته بجروح خفيفة عام ٢٠٠٤، بينما استشهد ابنه البكر محمد، وشقيقه وثلاثة من أقاربه، باستهداف طائرات الاحتلال الحربية منزله في حي الشجاعية. يعد الشهيد الجعبري مهندس صفقة وفاء الأحرار، فهو رئيس وفد حركة حماس في المفاوضات غير المباشرة التي خاضتها لأكثر من خمس سنوات مع إسرائيل، انتزع من خلالها الحرية لأكثر من (١٠٥٠) أسيراً، وتحرير كافة الأسيرات من السجون، حيث أظهر صلابة في الإصرار على المطالب العادلة مما اضطر إسرائيل في النهاية للرضوخ لمطالبه. قبل أسبوع من استشهاده عاد الجعبري إلى فلسطين قادماً من الديار الحجازية بعد أدى فريضة الحج، ورحل بعد أن وضع الأسس لجيش فلسطيني. (موقع كتائب القسام، الجعبري.. انتزع الصفقة

وحج البيت وارتنقى شهيدا، على الرابط التالي، <http://www.alqassam.ps/arabic/news1.php?id=29513>

[٢] وكالة غربية للأبناء، حتى الآن أكثر من ٥٠ غارة توقع ٨ شهداء وأكثر من ٥٠ مصاباً خلال الساعات الأربعة الماضية، والجيش يعلن الحرب على غزة، على الرابط التالي،

<http://www.ghorbanews.com/news.php?action=show&id=34156>

[٣] قناة الجزيرة الفضائية، نقل وقائع المؤتمر الصحفي لرئيس الوزراء الإسرائيلي حوالي الساعة السادسة مساءً، (٢٠١٢/١١/١٤).

بحوالي (٢١) شخصاً بينهم (١١) جندياً، كما أصيب المئات، في حين بلغت الخسائر المادية المباشرة ما يزيد عن ثلاثة مليارات شيقل.^[١]

جدول رقم (١) [٢]

المواقع التي استهدفتها الغارات "الإسرائيلية" في قطاع غزة

م	نوع الهدف	عدد المواقع	النسبة المئوية
١	موقع قيادي تابع لـ(حماس).	١٩	١.٣%
٢	منصة صاروخية تحت الأرض.	٩٨٠	٦٥.٣%
٣	نفق تهريب على الحدود مع مصر.	١٤٠	٩.٣%
٤	نفق ميداني.	٦٦	٤.٤%
٥	غرفة عمليات.	٤٢	٢.٨%
٦	مواقع تخزين وتصنيع.	٢٦	١.٧%
٧	قتل قيادات عسكرية.	٣٠	٢%
	الإجمالي	١٥٠٠	١٠٠%

جدول رقم (٢) [٣]

ضحايا العدوان الإسرائيلي على قطاع غزة

م	التصنيف	طفل/ امرأة/ مسن/ مدنية	وزارة الداخلية [٤]	رجال/ مدني	مقاومة	الإجمالي
1	شهيد	34	11	19	25	36
2	جريح	465	254	91	48	541
						1399

كثيرة هي الأسئلة التي تحتاج إلى إجابة ونقاش وتحليل حول أهداف ونتائج وتداعيات هذه العملية، وهو ما سنحاول استعراضه وتحليله في هذا البحث من خلال ثلاثة مباحث رئيسية، هي: أهداف العملية "إسرائيلية"، والعوامل التي أجبرت "إسرائيل" للنزول عند شروط المقاومة، ثم نستعرض النتائج بعد تحليل المعطيات.

[١] مجلة ذي ماركر، الحرب على غزة كلفت الاقتصاد "الإسرائيلي" ثلاثة مليارات شيقل، منقول عن موقع عكا أون لاين، على الرابط التالي، <http://www.akka.ps/ar/?event=showdetail&seid=17457>

[٢] الشرق الأوسط، الحرب على غزة: ١٥٠٠ غارة "إسرائيلية" مقابل ٣٠٠٠ صاروخ فلسطيني، على الرابط التالي، <http://aawsat.com/details.asp?section=4&issueno=12414&article=705579>

[٣] وزارة الصحة، غزة التقرير النهائي لحصاد العدوان الصهيوني الغاشم ضد المدنيين في قطاع غزة حصيلة العدوان "الإسرائيلي" على محافظات غزة بلغ (١٧٥) شهيداً و ١٣٩٩ جريحاً، على الرابط التالي،

http://www.moh.gov.ps/portal/index.php?option=com_content&view=article&id=7202:-----175--1399-&catid=34:2011-06-02-06-27-00&Itemid=92

[٤] فتحي حماد، وزير الداخلية والأمن الوطني الفلسطيني، لقاء تكريمي لأسر شهداء أبناء وزارة الداخلية والأمن الوطني حضره الباحث، (٢٠١٢/١٢/٥).

ثانياً: مشكلة وتساؤلات البحث.

شكلت العملية العسكرية "الإسرائيلية" على غزة عام ٢٠١٢ والتي عُرفت "إسرائيلياً" باسم عامود السحاب، وفلسطينياً باسم حجارة السجيل منعطفاً جديداً في الصراع الفلسطيني الذي تقوده المقاومة الفلسطينية مع "إسرائيل"، حيث سعت الأخيرة من خلال هذه العملية إلى إجبار المقاومة الفلسطينية في قطاع غزة على الرضوخ لشروطها، إضافة إلى أهداف أخرى سعت لتحقيقها؛ ولكن المفاجئة كانت كبيرة؛ حيث نجحت المقاومة في فرض شروطها، بل وأجبرت "إسرائيل" على القبول بشروطها مستفيدة من المتغير الإقليمي. وعليه تتلخص مشكلة البحث في التعرف على العوامل التي أثرت في تغيير معادلة الصراع العربي "الإسرائيلي" بعد هذه العملية، لذلك تطرح الدراسة سؤالاً رئيساً يتمثل بما يلي:

ما المتغيرات الجديدة التي طرأت على معادلة (الصراع العربي - الإسرائيلي) بعد العملية العسكرية "الإسرائيلية" على غزة، (عامود السحاب تشرين الثاني/ نوفمبر ٢٠١٢)

ويندرج تحت هذا السؤال مجموعة من الأسئلة الفرعية، يمكن إجمالها على النحو التالي:

١. ما الدوافع "الإسرائيلية" لتنفيذ هذه العملية؟
٢. ما العوامل التي دفعت "إسرائيل" لقبول التهدئة؟
٣. ما النتائج التي تترتبت على انتهاء هذه العملية؟

ثالثاً: أهمية البحث.

تكمن أهمية البحث في طرحه لموضوع العملية العسكرية "الإسرائيلية" على قطاع غزة، وتناولها بالبحث والتحليل للتعرف إلى أسبابها ودوافعها، ومدى اختلافها عن العمليات السابقة، وما النتائج التي تترتبت عليها، لفهم معطيات المرحلة القادمة من الصراع العربي "الإسرائيلي"، وتحديد المتغيرات الجديدة، التي ستمكننا من فهم مواقف الأطراف المشاركة فيه.

رابعاً: أهداف البحث.

١. تحديد أسباب ودوافع العملية العسكرية "الإسرائيلية" (عمود السحاب تشرين الثاني/ نوفمبر ٢٠١٢) ضد قطاع غزة.
٢. رصد العوامل التي دفعت "إسرائيل" لقبول شروط المقاومة لوقف إطلاق النار.
٣. التعرف إلى المتغيرات الجديدة التي طرأت على معادلة الصراع العربي "الإسرائيلي".

خامساً: فرضيات البحث.

يتبنى البحث ثلاث فرضيات أساسية، هي:

١. استطاعت المقاومة الفلسطينية إرباك الحسابات "الإسرائيلية"؛ الأمر الذي أدى إلى ظهور حالة التخبط في المواقف السياسية "الإسرائيلية".
٢. تغير قواعد معادلة الصراع العربي "الإسرائيلي"، لصالح المقاومة الفلسطينية.
٣. بروز أثر المتغير الإقليمي في معادلة الصراع العربي "الإسرائيلي"، بعد ثورات الربيع العربي، وخصوصاً دور مصر ما بعد ثورة ٢٥ يناير ٢٠١١.

سادساً: منهجية البحث.

يتبنى البحث المنهجين علميين، هما:

١. المنهج الوصفي التحليلي: يتم استخدامه من أجل رصد معطيات ودوافع وأهداف العملية، ومن ثم تحليلها للوصول إلى النتائج.
٢. المنهج المقارن: يتم استخدامه لإجراء مقارنات بين هذه العملية العسكرية والعمليات السابقة، لرصد حالة التغيير في معادلة الصراع العربي "الإسرائيلي".

سابعاً: حدود البحث.

تتقسم حدود البحث إلى ثلاثة أنواع:

١. الحد الزمني: يبدأ من ٢٠١٢/١١/١٤، موعد انطلاق العملية العسكرية، وينتهي بتوقيع اتفاقية التهدئة بين الطرفين.
٢. الحد المكاني: محافظات قطاع غزة.
٣. الحد الموضوعي: يشمل الأطراف الفاعلة المقاومة الفلسطينية، "إسرائيل"، مصر، الولايات المتحدة.

ثامناً: تقسيمات البحث.

المبحث الأول: أهداف العملية.

أولاً: الأهداف العامة.

ثانياً: الأهداف الخاصة.

المبحث الثاني: العوامل التي دفعت إسرائيل لقبول التهدئة وفقاً لشروط المقاومة الفلسطينية.

أولاً: التطور النوعي في رد المقاومة الفلسطينية.

ثانياً: وحدة المقاومة في مواجهة العدوان.

ثالثاً: انتفاضة الضفة الغربية.

رابعاً: الموقف المصري.

خامساً: الموقف العربي والإسلامي.

سادساً: الموقف الأمريكي.

سابعاً: الموقف الدولي.

ثامناً: الموقف "الإسرائيلي" الداخلي.

المبحث الثالث: النتائج.

أولاً: عوامل تحقيق المقاومة للانتصار.

ثانياً: تغيير قواعد معادلة (الصراع العربي - "الإسرائيلي")

ثالثاً: الراحون والخاسرون من هذا الانتصار.

الخاتمة.

المراجع.

المبحث الاول

أهداف العملية

لم يكن في وارد حسابات القيادة "الإسرائيلية" شن عملية برية على قطاع غزة، أثناء التخطيط لعملية (عمود السحاب تشرين الثاني/ نوفمبر ٢٠١٢) على غزة، وإنما كان تخطيطهم مقتصرًا على تنفيذ عملية جوية محدودة، قد تستمر لأيام قليلة،^[١] حتى تستوعب المقاومة الفلسطينية، وخصوصاً حركة (حماس)، الضربة القوية التي تلقفتها باغتيال قائدها العسكري الشهيد أحمد الجعبري، ومن ثم تبدأ وساطات مصرية لوقف إطلاق النار غير المشروط من قبل "إسرائيل"، ومن ثم تنتهي العملية.

وفي تحليل أكثر تفصيلاً يمكن رصد أن "إسرائيل" وضعت لهذه العملية عشرة أهداف، منها ما هو عام، ومنها ما هو خاص، والتي يمكن إجمالها على النحو التالي:

أولاً: أهداف عامة.

منذ انتهاء عملية (الرصاص المصبوب ٢٠٠٨ - ٢٠٠٩) و"إسرائيل" لم تكف عن استهداف قطاع غزة، وتشديد الحصار عليه، انطلاقاً مما تسمية المصلحة الأمنية "الإسرائيلية"، لمحاولة ترميم حالة الردع التي تآكلت مع مرور الوقت لدى المقاومة الفلسطينية، وعليه كان لها أهداف عسكرية عامة لأي عملية تصعيد في قطاع غزة، تتمثل بما يلي:

١. استنزاف المقاومة الفلسطينية.

تدرك "إسرائيل" خطورة ترك المقاومة الفلسطينية تعمل في أجواء مريحة؛ لأنها لن تدخر جهداً في زيادة قدراتها العسكرية والتدريبية، الأمر الذي يشكل خطراً داهماً على "إسرائيل"؛ لذلك كان لا بد من إيجاد سياسة عسكرية لكبح جماح المقاومة باستمرار، وتحجيم قدراتها المتزايدة.

٢. استطلاع المعلومات العسكرية بالقوة.

برغم كل ما تقوم به "إسرائيل" من عمليات استنزاف للمقاومة، وحصارها المفروض على قطاع غزة، إلا أنها تدرك أن المقاومة لا تألو جهداً في تطوير قدراتها الذاتية من تدريب وتسليح، وأنها لا تتوقف عن تهريب السلاح وتصنيعه في قطاع غزة، وهذا أمر لا تستطيع "إسرائيل" معرفته عن طريق الأجهزة الاستخبارية؛ لذلك كان لا بد لها من استخدام بعض الأساليب العسكرية لاستطلاع ما لدى المقاومة من جديد الأسلحة، وهي عملية استخبارية بالدرجة الأولى تسمى عملية استطلاع بالقوة، وقد نجحت "إسرائيل" في ذلك مرات عديدة، عندما استهدفت عناصر وقيادات بعض فصائل المقاومة؛ فقامت تلك الفصائل بالرد، وكشف ما لديها من أسلحة جديدة تم امتلاكها. إن أهمية هذه المعلومات تكمن في قدرة "إسرائيل" على تحديد وسائل الرد على المقاومة الفلسطينية، حماية لجنودها وجبهتها الداخلية.^[٢]

[١] قناة الجزيرة الفضائية، المؤتمر الصحفي لرئيس الوزراء "الإسرائيلي"، الساعة السادسة مساءً، بث مباشر، (٢٠١٢/١١/١٤)

[٢] محمد صيام، الأبعاد العسكرية للعدوان على غزة، مقابلة شخصية، (٢٠١٢/١١/٢٩)، الساعة: ٨:٠٠ صباحاً (محمد جمعة صيام: عميد كلية الشرطة الفلسطينية السابق، عمل ضمن صفوف الجيش العراقي لأكثر من أربعين عاماً).

٣. زعزعة الاستقرار في قطاع غزة.

سعت "إسرائيل" جاهدة إلى زعزعة الاستقرار في القطاع؛ حتى لا تتمكن الحكومة التي تقودها (حماس) من الشروع في حركة بناء وتطوير للقطاع يشعر بها المواطن الغزي. وقد كان هدفها من ذلك، إحداث شرخ في علاقة المواطنين الغزيين بالحكومة و(حماس)، وإشعار المواطنين بأن (حماس) والمقاومة هي سبب مشاكلهم، الأمر الذي سيدفعهم على المدى الطويل للتخلي عن المقاومة.^[١]

٤. ترميم حالة الردع المتآكلة.

زعمت "إسرائيل" أنه كان من أهم أهداف عملية (الرصاص المصبوب على غزة ٢٠٠٨ - ٢٠٠٩) وقف إطلاق القذائف الصاروخية من قطاع غزة على البلدات "الإسرائيلية" الموجودة في (غلاف غزة^[٢])، ربما استمر هذا الأمر لمدة عام بعد انتهاء تلك العملية، ولكن المقاومة الفلسطينية عاودت نشاطها، واستهدفتها لتلك البلدات "الإسرائيلية" من جديد، وتبين أن حالة الردع التي ظنت "إسرائيل" أنها حققتها، لم تدم إلا لفترة بسيطة لم تزد عن العام، وبالتالي فإن احتياج "إسرائيل" لترميم حالة الردع المفقودة مع المقاومة كانت مستمرة ومطلوبة دائماً.^[٣]

٥. وقف إطلاق القذائف الصاروخية على البلدات "الإسرائيلية".

منذ أن امتلكت فصائل المقاومة الفلسطينية القدرة على إطلاق القذائف الصاروخية، والبلدات "الإسرائيلية" المحيطة بالقطاع تعاني حالة عدم الاستقرار، وهروب الاستثمارات منها، الأمر الذي أدى إلى ظهور هجرات سكانية منها. وهذا الأمر بمجمله يشكل خطراً على المشروع الصهيوني، الذي يعتمد على التوزيع الاستيطاني على كامل تراب فلسطين التاريخية من أجل تثبيت الوجود اليهودي فيها، لذلك اعتبرت "إسرائيل" أن تساقط القذائف الصاروخية بشكل مستمر على مدار السنوات العشر الماضية، يشكل خطراً على المشروع الصهيوني، وسعت دائماً للعمل على إجبار المقاومة الفلسطينية لوقف إطلاق قذائفها الصاروخية، وقد كان هذا الهدف متكرراً لعمليات عسكرية عديدة على قطاع غزة.^[٤]

٦. نقل مسؤولية قطاع غزة إلى مصر.

سعت "إسرائيل" جاهدة إلى نقل المسؤولية الأمنية لقطاع غزة إلى مصر، ولم تكن محاولاتها جديدة، فمنذ طرح فكرة الانسحاب أحادي الجانب من قطاع غزة عام ٢٠٠٠م، من قبل "جيورجيا أيلاند" - مستشار "أريئيل

[١] عبد الستار قاسم، العملية العسكرية "الإسرائيلية" على غزة: الأسباب والتداعيات، مقابلة شخصية عبر الهاتف، (٢٠١٢/١١/٢٨)، الساعة: ٩:٠٠ مساءً. (عبد الستار قاسم: أستاذ العلوم السياسية بجامعة النجاح الوطنية - نابلس فلسطين)

[٢] غلاف غزة: هي المناطق المحيطة بقطاع غزة بمحيط (٧ كم)؛ صحيفة يديعوت أحرونوت "الإسرائيلية"، حكومة نتنياهو تصادق على تحصين مستوطنات "غلاف غزة"، منقول عن وكالة وطن للأخبار، على الرابط التالي،

http://65.175.115.147/new_index_hp_details.cfm?id=a1529781a4907679&c_id=8?StartRow=37#.UMotxeRg9yk

[٣] "عاموس يادلين"، غايات العملية العسكرية على غزة، معهد دراسات الأمن القومي "الإسرائيلي"، جامعة تل أبيب، منقول عن المركز الفلسطيني للدراسات "الإسرائيلية"، على الرابط التالي، <http://madarcenter.org/pub-details.php?id=411> (عاموس يادلين: رئيس شعبة الاستخبارات العسكرية "الإسرائيلية" السابق ورئيس "معهد دراسات الأمن القومي" في جامعة تل أبيب).

[٤] محمد صيام، مرجع سبق ذكره.

شارون" لشؤون الأمن القومي- و"إسرائيل" تسعى لزعج قطاع غزة في أحضان مصر، وما كان طرح مشروع تبادل الأراضي، أو ما عُرف بمشروع غزة الكبرى، من قبل "أيلاند" نفسه عام ٢٠٠٥م، إلا تكريساً لهذه الفكرة، وجاءت أحداث الانقسام الفلسطيني عام ٢٠٠٧م، لتزيد من رغبة "إسرائيل" نحو تحقيق هذا التوجه، وبحسب ما صرح به خالد مشعل؛ فإنه ومنذ ما يزيد عن عام ركزت "إسرائيل" مجهودها لتحقيق هذا التوجه من أجل إخراج قطاع غزة من معادلة الصراع، وهذا ما تم التصدي له من قبل (حماس)، ومصر معاً.^[١]

ثانياً: الأهداف الخاصة.

١. اختبار موقف النظام المصري الجديد بعد ثورة ٢٥ يناير ٢٠١١م.

راقبت "إسرائيل" التغيرات السياسية الناتجة عن الثورات العربية بحذر، خصوصاً حالة التغيير السياسي في مصر التي تربطها بها اتفاقية سلام ومعاهدة صلح منذ عام ١٩٧٩م، وهي تخشى على هذه الاتفاقية، وبالتالي انفرط عقد علاقاتها مع مصر، بعد ثورة ٢٥ يناير التي أتت بالإسلاميين إلى الحكم، وأفقدتها الكنز الاستراتيجي، الذي كان يتمثل في مبارك ونظام حكمه؛ حيث درجت "إسرائيل" عادة على استهداف قطاع غزة بشكل مستمر، وخصوصاً بعد فوز حركة (حماس) في الانتخابات التشريعية الفلسطينية عام ٢٠٠٦م، ولم تكن هذه الاستهدافات تثير حفيظة مصر ونظامها، بل على العكس، فقد كان النظام المصري مسانداً لـ"إسرائيل" في عدوانها على قطاع غزة عام (٢٠٠٨ - ٢٠٠٩). ومن أجل الوقوف على حقيقة الموقف للنظام المصري الجديد من القضية الفلسطينية وقطاع غزة تحديداً، كان لا بد من اختباره، وقياس ردة فعله تجاه أي عملية عسكرية على قطاع غزة، حتى تتمكن القيادة "الإسرائيلية" من تقدير الموقف لسياساتها اللاحقة في المنطقة.^[٢]

٢. توجيه رسالة لإيران ولحزب الله بأن "إسرائيل" جاهزة لكل الخيارات.

برغم كل العقوبات الدولية المفروضة على إيران، إلا أن "إسرائيل" ما فتئت تهدد إيران، بتوجيه ضربة عسكرية لمنشآتها النووية، حتى لا تتمكن من امتلاك القنبلة النووية بحسب ادعاء "إسرائيل"، وكون رئيس الوزراء "الإسرائيلي"، هو صاحب الفكرة لضرب إيران، كان لا بد له من توجيه رسالة لها ولحزب الله، الذي تعتبره ذراعها الطولى المجاورة لـ"إسرائيل". الرسالة مفادها أن "إسرائيل" تمتلك من القوة العسكرية ما يمكنها من فتح أكثر من جبهة في آن واحد، وأنه في حال إقدام حزب الله على ضرب "إسرائيل" بعد قيام الأخيرة بضرب المنشآت النووية الإيرانية، فإن ذلك سيكون بمثابة كارثة على لبنان وحزب الله.^[٣]

تجدر الإشارة إلى أن الحكومة "الإسرائيلية" قررت مساء يوم الجمعة ١٦/١١/٢٠١٢م، استدعاء (٧٥) ألف جندي من الاحتياط، وهو عدد لم تستدعه "إسرائيل" منذ حرب لبنان الثانية عام ٢٠٠٦. ويرجح محللون عسكريون "إسرائيليون" أن قرار استدعاء هذا العدد الهائل من جنود الاحتياط لا يتعلق باحتمال اجتياح القطاع وإنما تحسباً لتصعيد أوسع من قطاع غزة. وأشار المحلل العسكري في موقع "واللا" الإلكتروني "أمير بوحبوط"

[١] مشعل: (إسرائيل) هزمت جيوشاً عربية ولم تهزم المقاومة الفلسطينية، صحيفة فلسطين، على الرابط التالي،

<http://felesteen.ps/nd/releases//2012/112012/27>

[٢] هاني البسوس، أهداف وتداعيات العملية العسكرية "الإسرائيلية" على غزة، مقابلة شخصية للباحث، (٢٠١٢/١١/٢٨)، الساعة:

١:٠٠ ظهرًا. (هاني البسوس: أستاذ العلوم السياسية بالجامعة الإسلامية بغزة، وباحث ومحلل سياسي).

[٣] انطوان شلحت، أهداف وتداعيات العملية العسكرية "الإسرائيلية" على غزة، مقابلة شخصية عبر الهاتف، ٢٧/١١/٢٠١٢، الساعة

٩:٠٠ صباحاً (انطوان شلحت: باحث ومختص في الشؤون "الإسرائيلية" بالمركز الفلسطيني للدراسات "الإسرائيلية")

إلى أنه بالإمكان التقدير أن استدعاء (٧٥) ألف جندي احتياط غايته تمرير رسالة، ليس لـ(حماس) فقط، وإنما إلى جميع دول الشرق الأوسط وفي مقدمتها سورية ومصر ولبنان، وفي داخله حزب الله، وإيران. والرسالة التي يمررها رئيس أركان الجيش "الإسرائيلي"، "بيني غانتس"، هي أن "إسرائيل" لا تخشى من الحرب.^[١]

٣. اختبار الأسلحة الجديدة، وخصوصاً منظومة الدفاع الجوي (القبة الحديدية).

بعد انتهاء الحرب على لبنان في صيف ٢٠٠٦م، تغيرت ملامح النظرية الأمنية "الإسرائيلية" التي كانت تعتمد على قوة الردع، ونقل المعركة إلى أرض العدو، وتبني أسلوب الهجوم، بسبب تغير القدرات العسكرية للمقاومة اللبنانية والفلسطينية، وأن نتائج المعركة أثبتت أن هذه القواعد لم تعد موجودة، وأنه يجب تبني القواعد الدفاعية في المواجهات القادمة؛ لذلك سعت "إسرائيل" جاهدة إلى العمل على تطوير منظوماتها الدفاعية بشكل متواصل، وأنه بين الفينة والأخرى لا بد من اختبار مدى نجاح هذا السلاح، وهذا ما فعلته "إسرائيل" في أكثر من مواجهة مع قطاع غزة.^[٢]

٤. استثمار العملية العسكرية لتحقيق مكاسب انتخابية.

جرت العادة أن يكون سفك الدماء الفلسطينية إحدى مواد الدعاية الانتخابية للأحزاب الصهيونية من أجل كسب المزيد من الأصوات، فكانت الانتخابات البرلمانية "الإسرائيلية" أحد دوافع العدوان على لبنان عام ٢٠٠٦م، وكذلك الحال في عدوانها على قطاع غزة عام (٢٠٠٨ - ٢٠٠٩)، وبالتالي كان متوقعاً أن تقوم "إسرائيل" بالعدوان على غزة في هذه المرحلة حتى يرفع "نتنياهو" وحلفاؤه من حظوظهم بالنجاح في هذه الانتخابات.

من خلال مراقبة الأحداث والتطورات الميدانية والسياسية للمواقف "الإسرائيلية"، يمكن أن نصل إلى نتيجة أن القيادة "الإسرائيلية" تفاجأت برد المقاومة الفلسطينية القوي وغير المتوقع بإقدام (حماس) على كسر كل الخطوط "الإسرائيلية" الحمراء، التي تتمثل بضرب العمق "الإسرائيلي"، من خلال استهداف تل أبيب بعد مرور ثماني ساعات على العملية. ولم يكن في مقدور "إسرائيل" الدخول في عملية برية واسعة النطاق على قطاع غزة، لأسباب عديدة سنتطرق إليها لاحقاً.

فبعد انطلاق العملية بيومين أدركت "إسرائيل" الأزمة، وبدأت البحث عن وقف لإطلاق النار، وبحسب تصريحات خالد مشعل رئيس المكتب السياسي لحركة (حماس)، فإن "إسرائيل" طلبت من تسع دول عربية وأجنبية التوسط والضغط على (حماس) وفصائل المقاومة الأخرى لوقف إطلاق النار.^[٣]

في البداية وضعت "إسرائيل" مجموعة من الشروط لوقف إطلاق النار، تمثلت في وقف إطلاق القذائف الصاروخية على البلدات "الإسرائيلية"، ووقف استهداف الآليات العسكرية "الإسرائيلية" على خط الحدود، وتخلى المقاومة عن سلاحها، ومنع تهريب الأسلحة، واعتبار (حماس) مسؤولة عن أي عمليات عسكرية تنطلق من

[١] المشهد "الإسرائيلي"، بعد نحو خمسة أيام من العدوان على غزة تحقيقات "إسرائيلية": عملية "عمود السحاب" استنفدت نفسها!،

المركز الفلسطيني للدراسات "الإسرائيلية" "مدار"، على الرابط التالي، [http://www.madarcenter.org/pub-](http://www.madarcenter.org/pub-details.php?id=411)

details.php?id=411

[٢] المرجع نفسه.

[٣] خالد مشعل: صحيفة فلسطين، مرجع سبق ذكره.

قطاع غزة ضد "إسرائيل"، الأمر الذي رفضته المقاومة جملة وتفصيلاً، وفي المقابل وضعت هي شروطها التي تمثلت في وقف العدوان، ووقف سياسة الاغتيالات، ورفع الحصار عن القطاع المحاصر منذ عام ٢٠٠٧^[١].

وبعد مفاوضات غير مباشرة بين الطرفين في القاهرة، شاركت فيها تركيا وقطر والولايات المتحدة الأمريكية، انتهت بتوقيع اتفاق التهدئة وسريان وقف إطلاق النار الذي بدأ في تمام الساعة التاسعة من مساء يوم الأربعاء الموافق الحادي والعشرين من تشرين الثاني/ نوفمبر ٢٠١٢م، وقد استطاعت المقاومة أن تفرض شروطها، وتجبر "إسرائيل" على قبولها، وقد نشرت قناة الجزيرة القطرية نص الوثيقة التي تم الاتفاق عليها، التي جاءت بعنوان: (تفاهات خاصة بوقف إطلاق النار في قطاع غزة)^[٢]، وشملت البنود التالية:-

- أ- تقوم "إسرائيل" بوقف كل الأعمال العدائية على قطاع غزة براً وبحراً وجواً، بما في ذلك الاجتياحات وعمليات استهداف الأشخاص.
- ب- تقوم الفصائل الفلسطينية بوقف كل الأعمال العدائية من قطاع غزة تجاه "إسرائيل" بما في ذلك إطلاق الصواريخ والهجمات على الحدود.
- ج- فتح المعابر وتسهيل حركة الأشخاص والبضائع وعدم تقييد حركة السكان أو استهدافهم في المناطق الحدودية، والتعامل مع إجراءات تنفيذ ذلك بعد ٢٤ ساعة من دخول الاتفاق حيز التنفيذ.
- د- يتم تداول القضايا الأخرى إذا ما تم طلب ذلك.

كما تضمنت الوثيقة آلية التنفيذ التي شملت ثلاث نقاط، هي:

- ❖ تحديد ساعة الصفر لدخول تفاهات التهدئة حيز التنفيذ.
- ❖ حصول مصر على ضمانات من كل طرف بالالتزام بما تم الاتفاق عليه.
- ❖ التزام كل طرف بعدم القيام بأي أفعال من شأنها خرق هذه التفاهات، وفي حال وجود أي ملاحظات يتم الرجوع إلى مصر راعية التفاهات لمتابعة ذلك.

وبالفعل نجح الطرفان في تطبيق وقف إطلاق النار، وبدء المفاوضات التفصيلية لكافة القضايا في القاهرة، بحضور وفدي الطرفين برعاية مصرية، وقد لمس أهل قطاع غزة بعض نتائج هذا الاتفاق، حيث تم السماح للصيادين بالصيد في بحر القطاع بعمق يصل إلى ستة أميال بحرية، بدلاً من ثلاثة، كما تم السماح للمزارعين بالوصول إلى أراضيهم، التي مُنعوا من دخولها على السياج الحدودي.

يذكر أن توقيت العملية العسكرية على قطاع غزة تزامن مع إصرار السلطة الفلسطينية والرئيس محمود عباس على التوجه للأمم المتحدة للمطالبة بعضوية دولة مراقب، ويرى المحلل السياسي هشام مطر أنه يوجد رابط بين توقيت العملية العسكرية وتلك الجهود التي لم ترق لـ"إسرائيل" وسعت إلى عرقلتها لإرباك الساحة السياسية الفلسطينية^[٣]؛ إلا أن كلاً من المحللين السياسيين إبراهيم أبراش ومخيمر أبو سعدة المحاضرين في

[١] المرجع نفسه.

[٢] عبد الفتاح فايد، نشرة أخبار الثامنة مساءً بتوقيت جرينتش، قناة الجزيرة الفضائية، قطر، (٢٠١٢/١١/٢١).

[٣] هشام مطر، العملية العسكرية "الإسرائيلية" على غزة، مقابلة شخصية للباحث، ٢٠١٢/١٢/٨، الساعة ٧:٠٠ صباحاً.

جامعة الأزهر بغزة، اعتبراً أنه لا يوجد رابط بين العملية العسكرية وجهود السلطة لنيل عضوية مراقب،^[١] أما المحلل السياسي عبد الستار قاسم المحاضر في جامعة النجاح الوطنية بنابلس، فرأى أن الحصول على عضوية مراقب لن يغير شيئاً على الأرض.^[٢]

المبحث الثاني

العوامل التي دفعت "إسرائيل" على قبول التهدئة وفقاً لشروط المقاومة الفلسطينية

عديدة هي العوامل التي دفعت "إسرائيل" لقبول بالتهدئة والنزول عند شروط المقاومة الفلسطينية، التي يمكن إجمالها على النحو التالي:-

أولاً: التطور النوعي في رد المقاومة الفلسطينية.

مما لا شك فيه أن رد المقاومة الفلسطينية على اغتيال رئيس أركان المقاومة- كما أطلقت عليه "إسرائيل"- الشهيد أحمد سعيد الجعبري كان مفاجئاً للجميع، وأن الحسابات "الإسرائيلية" فشلت في تقدير الموقف بشكلٍ صحيح، وهذا ما انعكس سلباً بشكل مباشر على الرد "الإسرائيلي" خلال الأيام الثمانية للحرب الذي كان فيها مرتكباً.^[٣]

[١] إبراهيم ابراش، ارتباط العملية العسكرية "الإسرائيلية" على غزة بجهود السلطة لنيل صفة دولة مراقب في الأمم المتحدة، مقابلة شخصية للباحث، ٢٠١٢/١١/٨، الساعة ٩:٠٠ مساءً؛ مخيم أبو سعدة، ارتباط العملية العسكرية "الإسرائيلية" على غزة بجهود السلطة لنيل صفة دولة مراقب في الأمم المتحدة، مقابلة شخصية للباحث، ٢٠١٢/١٢/٨، الساعة ٨:٣٠ مساءً.

[٢] عبد الستار قاسم، مقابلة شخصية، مرجع سبق ذكره.

[٣] ضياء الكحلوت، إرادة المقاومة ممزوجة بالغطاء الشعبي: قدرات مواجهة تدريجية فاجأت "إسرائيل"، الى الرابط التالي،

<http://m.assafir.com/content/1353547870181577600/Fi%20Assaf>

فللمرة الأولى يظهر أن خيارات "إسرائيل" تضاعفت، ولم تعد قادرة على حسم الموقف كما كانت تفعل سابقاً. ففي العدوان السابق على قطاع غزة (٢٠٠٨-٢٠٠٩م) أوقفت "إسرائيل" عدوانها على قطاع غزة من طرف واحد، وهو ما كانت تسعى إليه المقاومة الفلسطينية، أما في هذا العدوان فقد تغير الموقف، فلم تستطع "إسرائيل" وقف العدوان من طرف واحد؛ لأن المقاومة الفلسطينية رفضت ذلك، إلا بشروطها الخاصة، وبالتالي واصلت استهداف البلدات "الإسرائيلية" بالقذائف الصاروخية ما لم تستجب "إسرائيل" لمطالبها، وهي عملية أطلقت عليها كتائب الشهيد عز الدين القسام^[١] حجارة السجيل^[٢].

من خلال تحليل لطبيعة رد المقاومة، نجد أن العمل العسكري للمقاومة تطور بشكل لافت، ودخلت عليه ستة متغيرات في مجال التسليح والتدريب، كانت كفيلاً بأن تكون أحد عوامل تغيير معادلة الصراع مع "إسرائيل"، التي يمكن إجمالها على النحو التالي:

١. نجاح المقاومة في الحفاظ على منظومة السيطرة والقيادة.

برغم حالة الاستهداف المباشر لمنظومة السيطرة والتحكم، إلا أن المقاومة تمكنت من الحفاظ عليها، وإدارة الميدان بنجاح، لدرجة جعلتها قادرة على إصدار تقارير يومية عن حصاد المقاومة اليومي لعملياتها ضد "إسرائيل"، وهذا يؤشر بشكل واضح إلى أن المقاومة تمتلك شبكة اتصالات فعالة لم تتمكن "إسرائيل" من اختراقها وتدميرها، ويبدو أن المقاومة تعلمت ذلك من العدوان السابق (٢٠٠٨-٢٠٠٩)، عندما فقدت السيطرة على منظومة السيطرة والتحكم^[٣].

٢. قدرة المقاومة على ضرب العمق "الإسرائيلي" بمدى وصل إلى أكثر من (٨٠) كلم.

لقد كان من أهم الأهداف التي وضعتها "إسرائيل" للعمليات العسكرية على قطاع غزة، منع إطلاق الصواريخ على البلدات "الإسرائيلية" في الجنوب الموجودة في غلاف قطاع غزة، بعمق يصل - بحده الأقصى - إلى (٤٠ كم) وإذ بها تفاجأ برد المقاومة، الذي وسع دائرة الاستهداف، لتصل إلى (٨٠ كم) وبذلك طالت مدن تل أبيب والقدس، أي أنها وسعت دائرة الاستهداف للمجتمع "الإسرائيلي" لتطال ما يقرب من أربعة ملايين "إسرائيلي"، الأمر الذي لم يكن في حساب "إسرائيل".^٤ فقد كانت "إسرائيل" تعرف أن لدى المقاومة الفلسطينية

[١] كتائب الشهيد عز الدين القسام: الجناح العسكري الجهادي لحركة المقاومة الإسلامية (حماس)، المقاوم بالسلاح والقوة للاحتلال الصهيوني في فلسطين بهدف تحريرها. تأسست بذور كتائب القسام في عام ١٩٨٤م، وذلك قبل الإعلان عن انطلاق الحركة فعلياً باسم حركة (حماس)، واستمر العمل تحت عناوين مختلفة حتى عام ١٩٩١م، حيث أعلن عن اسم "كتائب الشهيد عز الدين القسام" في منتصف عام ١٩٩١م. تعمل كتائب القسام فقط في نطاق حدود فلسطين التاريخية التي تمتد من بلدة رأس الناقورة شمالاً إلى بلدة أم الرشراش جنوباً ومن نهر الأردن شرقاً إلى البحر الأبيض المتوسط غرباً، والتي تبلغ مساحتها ٢٧ ألف كيلو متر مربع، وعاصمتها مدينة القدس. تقبل كتائب القسام بالتحرير المرهلي لأجزاء من فلسطين وما يترتب عليه هذا التحرير، ويمكن أن تقبل بتهدئة أو هدنة مرحلية مؤقتة ومشروطة للتخفيف من معاناة شعبنا ولتكون كاستراحة محارب، لكن دون التفريط بأي من الحقوق والثوابت ودون الاعتراف بدولة الكيان الصهيوني الغاصب. على الرابط التالي، <http://www.alqassam.ps/arabic>

[٢] مركز فلسطين للدراسات، الحرب القادمة على غزة: الأسباب والدوافع والسيناريوهات، مركز إيداع للدراسات الاستراتيجية، غزة، فلسطين. على الرابط التالي، http://pal-studies.ps/data/files/the_next_war_on_gaza_the_reasons_and_motives_and_scenarios.pdf

[٣] واصف عريقات، الأبعاد العسكرية للعمليات العسكرية "الإسرائيلية" على غزة، مقابلة عبر الهاتف، الساعة: ٩:٠٠ مساءً، (٢٠١٢/١٢/٤) واصف عريقات: لواء متقاعد في السلطة الوطنية الفلسطينية).

صواريخ طويلة المدى تصل إلى تل أبيب، ولكنها كانت على قناعة تامة بأن المقاومة الفلسطينية لن تجرؤ على استخدامها؛ لأن ذلك يُعد تعدياً على الخطوط الحمراء "الإسرائيلية"، الذي سيكون رد الفعل عليه عنيفاً جداً،^[١] وهذا ما كان في حربها على جنوب لبنان في يوليو/ تموز ٢٠٠٦م، حيث كان حزب الله يمتلك صواريخ طويلة المدى تصل إلى تل أبيب، ولكنه لم يستعملها نظراً لإدراكه حجم الرد "الإسرائيلي" المتوقع إزاء مثل هذا الإجراء، وهذا ما بنت عليه "إسرائيل" استراتيجيتها في مواجهة المقاومة الفلسطينية، ولكن النتيجة كانت عكسية؛ حيث تمكنت المقاومة من قلب الحسابات "الإسرائيلية"، وضرب العمق "الإسرائيلي"، مما جعل كل القيادات "الإسرائيلية" تدخل إلى الملاجئ، خوفاً من سقوط صواريخ المقاومة على القدس، وتل أبيب.^[٢]

٣. قدرة المقاومة على الإخفاء والتمويه.

برغم امتلاك "إسرائيل" لتكنولوجيا متطورة في مجال التجسس والرصد عبر طائرات الاستطلاع بدون طيار، والأقمار الصناعية، والتحكم في شبكات الاتصالات الفلسطينية؛ إلا أن قدرة المقاومة على الإخفاء والتمويه كانت عالية جداً، لدرجة أنه كان من الصعب معها أن يُرى المقاومون على الأرض حتى من قبل المواطنين الغزيين؛ لذلك بدا وكأن "إسرائيل" تقاثل أشباحاً في هذه العملية. ففي إحصائية شبه نهائية، لم يتجاوز عدد شهداء المقاومة الفلسطينية في هذا العدوان (٥٢) شخصاً أي ما يشكل ٢٩% من إجمالي عدد شهداء هذا العدوان.^[٣]

وتشير الأحداث إلى أن أغلب هؤلاء الشهداء تم استهدافهم عن طريق قصف بيوتهم، وقتلهم مع ذويهم بناء على معلومات استخبارية سابقة، أو عن طريق استهدافهم في السيارات أو الدراجات النارية بعد رصدهم عبر شبكات الاتصال، أو طائرات الاستطلاع، وأنها لم تستطع الوصول إلى القيادات والعناصر الفاعلة التي كانت تطلق الصواريخ.

لقد نجحت المقاومة في إخفاء وتمويه صواريخها وقدراتها تحت الأرض بشكل أعجز "إسرائيل" عن اكتشافها، وفي هذا المجال لا يمكن أن نغفل عن أعمال المقاومة الدعوية على مدار الأربع سنوات الماضية في حفر الأنفاق في قطاع غزة، الأمر الذي دعا بعض قيادات المقاومة للقول بأن غزة أصبحت بها مدينة أخرى تحت الأرض، مما ساعدها على إخفاء قوتها، وتغييبها عن دائرة الاستهداف "الإسرائيلي".^[٤]

٤. قدرة المقاومة على استهداف الطائرات الحربية.

إن دخول سلاح مضادات الطائرات إلى ميدان المعركة كان وسيكون له الأثر البالغ على مجريات المواجهة العسكرية بين الطرفين، فقد استهدفت المقاومة الفلسطينية عدة طائرات حربية، نجحت في إصابة اثنتين، وإسقاط واحدة، ولا يزال البحث جارياً عن طيارها المفقودين.^[٥] لقد ساعد توفر هذا السلاح على

[١] خالد مشعل، لقاء سياسي في الجامعة الإسلامية بغزة، ٢٠١٢/١٢/٩، الساعة ١١:٠٠ صباحاً، حضره الباحث.

[٢] انطوان شلحت، مقابلة شخصية، مرجع سبق ذكره.

[٣] إحصائية رصدها الباحث من مواقع المقاومة المختلفة.

[٤] محمد صيام، مقابلة شخصية، مرجع سبق ذكره.

[٥] المرجع نفسه.

تحجيم القدرة القتالية لطائرات الهيلوكبتر في أجواء قطاع غزة التي كانت تلعب دوراً حاسماً في المواجهات الميدانية أثناء المعارك، واقتصار المواجهة على الطائرات الحربية، وطائرات الاستطلاع.^[١]

٥. قدرة المقاومة على استهداف الدبابات والآليات العسكرية "الإسرائيلية".

شكلت عمليات استهداف المقاومة للآليات العسكرية "الإسرائيلية"، بواسطة صواريخ مضادة للدروع، رسائل قوية للجيش "الإسرائيلي"، ونبهته لمخاطر الدخول في عملية برية داخل قطاع غزة، ويعد صاروخ (الكورنيت^[٢]) مضاد الدروع من أهم الوسائل القتالية الميدانية التي أعلنت المقاومة الفلسطينية عن امتلاكها، وأنها ستستخدمها في المواجهة البرية، وعمليات المشاة، ومن المحتمل أن تكون المقاومة تمتلك وسائل قتالية أكثر تطوراً لم تعلن عنها بعد، ولتبقى مفاجأة الميدان.^[٣]

نظرياً يمكن للجيش "الإسرائيلي" احتلال قطاع غزة خلال خمس ساعات. ولكن هناك أسئلة كثيرة تحتاج إلى إجابات متعلقة بالموضوع، مثل: كيف يمكن الخروج من الدبابة؟ ومواجهة المقاومة ميدانياً على الأرض؟ وما هي القدرة الحقيقية لـ"إسرائيل" على تحمل خسائر فادحة في هكذا مواجهة؟ وما هي إمكانيات الخروج بعد احتلال قطاع غزة؟ وكيف يمكن مواجهة الرأي العام الدولي، وتسويق هذا العدوان؟^[٤]

كل هذه الأسئلة تطرح على القيادة "الإسرائيلية" قبل الدخول في أي عملية برية على قطاع غزة، وهي تدرك أن الإجابة عنها صعبة، وثمنها باهظ، قد لا تتحملة الجبهة الداخلية "الإسرائيلية"، وهذا ما فهمه وزير الحرب الصهيوني "يهود باراك" عندما رد على سؤال لأحد الصحفيين، لماذا قبلتم بالتهديئة ولم تذهبوا إلى عملية برية في القطاع؟ فأجاب: أنا لا أحب العودة إلى غزة، فقد عملت بها سابقاً، وأردف قائلاً: إن الدخول إلى غزة ممكن، ولكن السؤال الأصعب هو، كيف سنخرج؟^[٥]

٦. تطور القدرات التكنولوجية للمقاومة، وقدرتها على دخول الحرب الإلكترونية.

يبدو أن تطور أساليب المقاومة لأدواتها لم يقتصر على الأسلحة المتعارف عليها فقط، بل دخلت في مجال الحرب الإلكترونية بشكل مباشر، حيث دارت في هذه الجولة معركة العقول بين الطرفين، فقد استطاعت المقاومة الفلسطينية تحقيق إنجازات مهمة في مجال المواجهة التكنولوجية، التي تمثلت فيما يلي:

[١] واصف عريقات، مقابلة شخصية، مرجع سبق ذكره.

[٢] صاروخ الكورنيت: صاروخ روسي مضاد للدبابات، ويمكن استخدامه ضد الأهداف الطائرة البيئية مثل طائرات الهيلوكبتر. تفوق سرعته نحو الهدف سرعة الصوت، ويتراوح مداه ما بين (١٠٠ - ٥٥٠٠ متر). يعمل في كل الظروف المناخية، دون التأثير بعوامل بيئية متعلقة بميدان القتال، ولديه قدرة اختراق تدميرية تتراوح ما بين (١٠٠٠ - ١٢٠٠ ملم) في الدروع التفاعلية المتفجرة. يستخدم صاروخ الكورنيت نظام التوجيه الليزري للتصويب، وإصابة الهدف، ويعمل بالوقود الصلب. (مدونة نيوز فلسطين، الى الرابط التالي،

http://newspalestina.blogspot.com/2010/12/blog-post_2973.html

[٣] أبو عبيدة، مؤتمر صحفي للناطق الإعلامي باسم كتائب القسام، قناة الأقصى الفضائية، (٢٢/١١/٢٠١٢).

[٤] مركز فلسطين للدراسات، ميزان الربح والخسارة في حرب الفرقان بين "إسرائيل" و(حماس)، مركز إبداع للأبحاث والدراسات

والتنقيب، الى الرابط التالي، <http://pal->

studies.ps/data/files/balance_of_profit_and_loss_in_the_war_criterion_between_israel_and_hamas.pdf

[٥] فضائية فلسطين اليوم، حرب نفسية متبادلة.. رسائل تحذيرية للضباط الصهاينة ترسلها سرايا القدس، على الرابط التالي،

<http://paltoday.ps>

- أ- نجاح المقاومة في إسقاط طائرة استطلاع بدون طيار، عن طريق اختراق الشيفرة الخاصة بها، وإنزالها بطريقة سليمة، الأمر الذي سيمكن المقاومة من معرفة أسرارها، وبالتالي تطور في معرفة أساليبها في الجولات القادمة.^[١]
- ب- القدرة على مواجهة اختراق الجيش "الإسرائيلي" لبعض القنوات الفضائية، مثل: الأقصى، القدس، فلسطين اليوم، فلم يستطع الجيش "الإسرائيلي" اختراق تلك القنوات لمدة تزيد عن الثلاث دقائق في بعض الأحيان، واستطاعت أن تحافظ على استمرار بث تلك القنوات بشكل دائم.^[٢]
- ج- القدرة على اختراق القنوات الفضائية "الإسرائيلية" (القناة الثانية، القناة العاشرة) وبث رسائل المقاومة باللغة العبرية؛ لإرباك الجيش والجهة الداخلية "الإسرائيلية".^[٣]
- د- بحسب اعتراف الجيش "الإسرائيلي"، فقد شنت المقاومة الفلسطينية ما يقرب من (٤٤ مليون) محاولة اختراق للمواقع الإلكترونية "الإسرائيلية"، ونجحت في بعضها.^[٤]
- هـ- نجحت سرايا القدس، الجناح العسكري لحركة الجهاد الإسلامي في اختراق قاعدة بيانات هواتف أكثر من خمسة آلاف جندي وضابط إسرائيلي من المشاركين في العدوان على قطاع غزة وقامت بتوجيه رسالة نصية عبر هواتفهم المحمولة باللغة العبرية جاء نصها كالتالي: אנחנו נהפוך את עזה לבית עלמין לחיילים שלךם ולעשות תלאביב של להבה (גדודי אל קודس). وتعني بالعبرية "سنجعل غزة مقبرة لجنودكم ونجعل تل أبيب كتلة لهب (سرايا القدس)".^[٥]
٧. وحدة المقاومة في مواجهة العدوان.

تمكنت المقاومة الفلسطينية من تجسيد الوحدة الوطنية في الميدان قبل ردها للعدوان "الإسرائيلي" في جولة التصعيد على قطاع غزة في - تشرين الثاني/ نوفمبر ٢٠١٢م؛ حيث استطاعت فصائل المقاومة أن تعمل مجتمعة للمرة الأولى من خلال رفع مستوى التنسيق، لتعزيز جهود فصائل المقاومة وتوحيدها، حتى تتمكن من رد أي عدوان على قطاع غزة، الأمر الذي أثبت نجاعته في الميدان وكانت له نتائج إيجابية على المجتمع الفلسطيني، وسلبية جداً على الاحتلال "الإسرائيلي".^[٦]

[١] أبو عبيدة، مؤتمر صحفي، مرجع سبق ذكره.

[٢] الباحث قام برصد عمليات الاختراق "الإسرائيلية" لقنوات الأقصى والقدس وفلسطين اليوم.

[٣] الباحث قام برصد عمليات اختراق المقاومة للقناتين الإخباريتين "الإسرائيليتين"، الثانية والعاشرة.

[٤] وكالة معا الإخبارية، ٤٤ مليون محاولة اختراق مواقع انترنت "إسرائيلية" منذ الأربعاء، على الرابط التالي،

<http://www.maannnews.net/arb/ViewDetails.aspx?ID=539236>

[٥] سرايا القدس: الجناح العسكري لحركة الجهاد الإسلامي في فلسطين تأسست عام ١٩٨٧، تحت اسم سيف الإسلام لغاية عام ١٩٩١، حيث قامت بعدد من العمليات والمهام الخاصة، وبعد عام ١٩٩١ تم إعادة تشكيل خلايا الجناح العسكري للجهاد الإسلامي باسم جديد وهو القوى الإسلامية المجاهدة قسم حيث تولى الشهيد المجاهد محمود عرفات الخواجا تشكيل الخلايا العسكرية في فلسطين، والتي تحولت فيما بعد إلى سرايا القدس، وقد شاركت في مواجهة العملية العسكرية "الإسرائيلية" على قطاع غزة إلى جوار كتائب القسام وباقي فصائل المقاومة الفلسطينية، على الرابط التالي، <http://www.saraya.ps/index.php?act=Show&id=25284>

[٦] البديل، بالوثائق: سرايا القدس تخترق اتصالات خمسة آلاف جندي صهيوني وتنتشر بياناتهم، على الرابط التالي،

<http://elbadil.com/palestine/2012/11/17/72324>

[٧] مصطفى الصواف، ندوة سياسية حول العملية العسكرية "الإسرائيلية" على قطاع غزة، مركز فلسطين للدراسات، غزة فلسطين،

(٢٠١٢/١١/٢٨)

في جولة العدوان الأولى (٢٠٠٨ - ٢٠٠٩م) كانت حركة (حماس) هي من يواجه العدوان في الميدان بنسبة تزيد على ٩٠%، في حين بقيت أغلب الفصائل بلا حراك على اعتبار أن هذا العدوان موجه لحركة (حماس)، وليس للفصائل الأخرى، وقد كان هذا الموقف انعكاساً مباشراً لحالة الانقسام الفلسطيني في أشنع صورها، التي كان من نتائجها، أن يوغل الاحتلال "الإسرائيلي" في دماء الشعب الفلسطيني في قطاع غزة، ليوقع ما يزيد عن (١٤١٠ شهيداً) وأكثر من (٥٥٠٠ جريح).^[١]

أما في جولة العدوان الأخيرة على قطاع غزة (تشرين الثاني/ نوفمبر ٢٠١٢م)، فقد كانت الصورة مختلفة، حيث شاركت أغلب فصائل المقاومة بشكل إيجابي وفعال، الأمر الذي أعطى صورة مشرقة لمستقبل المقاومة الفلسطينية، ويمكن رصد هذه الوحدة التي أبهجت الشعب الفلسطيني من خلال احتساب مشاركتها في إطلاق القذائف الصاروخية على البلدات "الإسرائيلية". كما هو موضح في الجدول رقم (٣)

جدول رقم (٣)

حجم مشاركة فصائل المقاومة الفلسطينية في إطلاق القذائف والصواريخ على "إسرائيل"

م	الجناح العسكري	التنظيم التابع له	عدد القذائف	النسبة المئوية
١	كتائب الشهيد عز الدين القسام.	حركة المقاومة الإسلامية (حماس). ^[٢]	١٥٧٣	٥٢.٤%
٢	سرايا القدس.	الجهاد الإسلامي. ^[٣]	٦٢٠	٢٠.٦%
٣	ألوية الناصر صلاح الدين.	لجان المقاومة الشعبية. ^[٤]	٢٨٠	٩.٣%
٤	كتائب أبو علي مصطفى.	الجبهة الشعبية لتحرير فلسطين. ^[٥]	٢٤٥	٨.٢%
٥	كتائب المقاومة الوطنية.	الجبهة الديمقراطية لتحرير فلسطين. ^[٦]	١٥٠	٥%
٦	كتائب شهداء الأقصى.	حركة التحرير الوطني الفلسطيني "فتح". ^[٧]	٨١	٢.٧%
٧	الجماعات السلفية.	الجماعات السلفية. ^[٨]	٦٧	٢.٢%
الإجمالي			٣٠٠٠	١٠٠%

[١] مركز الميزان لحقوق الإنسان، شهداء عملية الرصاص المصوب على غزة، على الرابط التالي،

<http://www.mezan.org/upload/10716.pdf>

[٢] كتائب الشهيد عز الدين القسام، على الرابط التالي، <http://www.alqassam.ps/arabic/news1.php?id=29589>

[٣] سرايا القدس، على الرابط التالي، <http://www.saraya.ps/index.php?act=Show&id=25284>

[٤] لجان المقاومة الشعبية، على الرابط التالي، <http://www.qaweim.com/alhaq>

[٥] كتائب الشهيد أبو علي مصطفى، على الرابط التالي،

<http://www.kataebabuali.ps/arabic/articles.php?action=show&id=229>

[٦] الشرق الأوسط، على الرابط التالي، <http://www.aawsat.com/details.asp?section=4&article=705579&issueno=12414>

[٧] المرجع نفسه.

[٨] المرجع نفسه.

ثالثاً: انتفاضة الضفة الغربية.

منذ بدء الاعتداء "الإسرائيلي" في جولة التصعيد الأخيرة، لم تتفاسد الضفة الغربية عن نصرته قطاع غزة، وبدأت حركة مواجهات واسعة النطاق في كل المدن الفلسطينية وعلى نقاط الاحتكاك مثل: حاجز حوارة جنوبي نابلس، ومعسكر عوفر قرب بيتونيا برام الله، ومعبر الجلثة بجنين، ومفارق بيت لحم وغيرها من الأماكن والمواقع التي انتفضت في وجه الاحتلال "الإسرائيلي" دعماً للقطاع وهي تواجه العدوان العاشم عليها، وإسناداً للمقاومة التي تسطر يومياً انتصارات مشرفة، وتأكيداً على أن قطاع غزة والضفة الغربية جسد واحد، إذا اشتكى منه عضو تداعى له سائر الأعضاء بالحمى والسهر. [١]

لقد كان رد فعل الضفة المحتلة مفاجئاً؛ لأنها منذ فترة طويلة لم تتحرك ولم تنتفض، التزمت الصمت مكرهة خلال الجولة السابقة من العدوان على غزة (٢٠٠٨ - ٢٠٠٩) واكتفت بإشعال الشموع والمسيرات السلمية، في حين خرج شبانها هذه المرة غاضبين وعمت مظاهر الانتفاضة مدنها كافة، لقد كانت صدمة مريبة ورداً صاعقاً للاحتلال "الإسرائيلي" بأن الفلسطينيين في الضفة الغربية لن يتخلوا عن أهلهم في غزة. [٢]

من جهته أكد رائد نعيرات، أن ما حدث في الضفة المحتلة من مظاهرات دق ناقوس الخطر لدى "إسرائيل"، ونبه بأن الأمور قد تخرج عن نطاق السيطرة، وأن المواجهة في قطاع غزة كان لها مفاعيلها في الشارع الفلسطيني بالضفة، فخرج الناس لم يكن منظماً بقدر ما كان عفويًا. كما يجب الإشارة إلى أن عوامل الانفجار في الضفة المحتلة كانت موجودة بسبب حالة الاحتقان السياسي والاقتصادي والأمني الذي يعيشه السكان هناك، وجاء العدوان "الإسرائيلي"، ليكون الفتيل الذي كاد أن يشعل الشارع. [٣]

كما جاءت العملية النوعية التي نفذتها المقاومة الفلسطينية بالقرب من مقر وزارة الدفاع "الإسرائيلية" بمدينة تل أبيب، التي استهدفت حافلة للركاب، لتعيد "إسرائيل" إلى ذاكرة الرعب التي عاشتها إبان إقدام المقاومة بتنفيذ عملياتها الاستشهادية في المدن والبلدات "الإسرائيلية" في "العقد الماضي وسابقه"، الأمر الذي أفض مضاجع "إسرائيل" وأرهق سكانها، ومن ثم عملت جاهدة لوقفها، ولا تزال مرتعبة من فكرة عودة مثل تلك العمليات إليها. [٤]

رابعاً: الموقف المصري.

لقد كان اختيار الموقف المصري في النظام الجديد (نظام ما بعد ثورة ٢٥ يناير برئاسة الدكتور محمد مرسي) كان من أهم أهداف هذه العملية، بعد أن فقدت "إسرائيل" النظام السابق الذي كانت تعتبره كنزاً استراتيجياً لها. وقد أدرك العالم حقيقة هذا التغيير الذي بدأت ملامحه تتضح في مواقفه المختلفة، التي انعكست إيجاباً على كل المواقف العربية.

فمنذ بدء "إسرائيل" لعملياتها العسكرية على قطاع غزة، أعلنت مصر إدانتها المباشرة للعدوان، ومع مضي الساعات الأولى للعدوان، قرر الرئيس المصري محمد مرسي سحب السفير المصري من تل أبيب، كما

[١] فلسطين الآن، بواكر انتفاضة.. الضفة تشتعل دعماً لغزة، على الرابط التالي، <http://paltimes.net/details/news/27868/>

[٢] حمود بيروت، الضفة هبت لغزة، عرب ٤٨، على الرابط التالي،

<http://www.arabs48.com/?mod=articles&ID=96057>

[٣] رائد نعيرات، دوافع وتداعيات العملية العسكرية "الإسرائيلية" على غزة، مقابلة عبر الهاتف، (٢٠١٢/١١/٢٨)، الساعة: ١١

صباحاً. (رائد نعيرات: باحث ومحلل سياسي، ومحاضر العلوم السياسية بجامعة النجاح الوطنية- نابلس)

[٤] محمد صيام، مقابلة شخصية، مرجع سبق ذكره.

طلب من السفير "الإسرائيلي" مغادرة القاهرة، وفي ثالث أيام العدوان، أرسل رئيس وزرائه هشام قنديل على رأس وفد رفيع المستوى إلى قطاع غزة، حيث التقى رئيس الوزراء في غزة إسماعيل هنية، كما قدم الوفد واجب العزاء لذوي الشهداء، وعلى رأسهم عائلة الشهيد أحمد الجعبري، في ظل حالة تعاطف وجداني له دلالاتها الخاصة، كما تم فتح معبر رفح بشكل كامل، وإرسال سيارات إسعاف لنقل المصابين الفلسطينيين إلى المستشفيات المصرية، إضافة إلى تقديم المساعدات الإغاثية العاجلة، كما سهل دخول الوفود العربية إلى قطاع غزة، وهو أمر لم يكن ممكناً في أيام النظام السابق، ودعا مرسى "إسرائيل" إلى وقف ما أسماه المهزلة في قطاع غزة، مهدداً بقوله (وإلا ستواجهون غضبة الشعب المصري).^[١]

ويمكن فهم طريقة تعامل الرئيس مُرسى، مع العدوان "الإسرائيلي" على قطاع غزة من خلال النقاط التالية:

١. الحرص على حماية قطاع غزة انطلاقاً من الوازع الديني والقومي والأخلاقي.
٢. حماية الأمن القومي المصري؛ لأن قضية غزة، ليست قضية خارجية، وإنما هي قضية أمن قومي مصري.^[٢]
٣. استعادة الدور الريادي لمصر في قيادة الأمة العربية.
٤. تثبيت الدور المحوري لمصر في القضية الفلسطينية، بعد تداولها من قبل لاعبين كثر.
٥. الحفاظ على العلاقات المصرية الأمريكية، وعدم الانجرار وراء الأحداث لدرجة تضرر بالمصالح القومية.
٦. إدراك خطورة انكشاف الجبهة المصرية أمام "إسرائيل" في هذه الظروف الدقيقة التي تمر بها مصر، والحرص على تصعيد الموقف بشكل محسوب حتى لا تتدهور العلاقات مع "إسرائيل" بدرجة قد تضرر بالمصالح المصرية في سيناء.

منذ الانقلاب العسكري الذي وقع في الثالث من يوليو ٢٠١٣ على الرئيس الشرعي في مصر، عادت معاناة سكان قطاع غزة من جديد، بل واعتبرت السلطات الانقلابية في مصر حماس وحكومتها في غزة عدواً وبدأت بحمارتها وتضييق الخناق عليها من خلال هدم الانفاق، وإغلاق معبر رفح لفترات طويلة، وأنه لو قدر لقطاع غزة أن يتعرض لعدوان جديد من قبل "إسرائيل" فإن الموقف المصري الحالي للسلطات الانقلابية سيكون مغايراً تماماً لموقف الرئيس المعزول محمد مرسي.

خامساً: الموقف العربي والإسلامي.

لقد كان تحرك الجامعة العربية في هذه المرة أكثر جرأة وشجاعة تجاه التعاطي مع العدوان على قطاع غزة، ويرجع الفضل في ذلك إلى التغيير في الموقف المصري أولاً، حيث عقدت الجامعة العربية اجتماعاً طارئاً على مستوى وزراء الخارجية، ثم شكلت الجامعة وفداً برئاسة أمينها العام ومشاركة تسعة من الوزراء العرب،

[١] قناة الجزيرة، نشرة أخبار الثالثة بتوقيت مكة المكرمة، (٢٠١٢/١١/١٦).

[٢] صحيفة الوسط، رئيس الوزراء: قطاع غزة يشكل قضية أمن قومي لمصر، على الرابط التالي، <http://www.el->

[wasat.com/portal/News-55684577.html](http://www.wasat.com/portal/News-55684577.html) ؛ اليوم السابع، البلتاجي، غزة وفلسطين قضية أمن قومي مصري، على الرابط

التالي، <http://www.youm7.com/News.asp?NewsID=848284>

إضافة إلى وزير الخارجية التركي، لزيارة قطاع غزة، حيث التقى الوفد رئيس الوزراء الفلسطيني إسماعيل هنية، كما اطلعوا على الدمار والخراب الذي خلفه العدوان "الإسرائيلي" على القطاع، وفيما يلي نجل الموقفين العربي والاسلامي على النحو التالي:-

١. الموقف العربي.

لا يمكن قراءته بالمجمل، ولكن كانت فيه دول فاعلة، ولها مواقف مؤثرة هذه المرة، ولا يمكن تجاهلها، والتي تتمثل بمواقف قطر وتونس وبعض الدول التي ساندت القطاع وأرسلت الوفود، والتي يمكن إجمالها على النحو التالي:-

أ- **الموقف القطري:** ليس جديداً ووقف دولة قطر إلى جانب المقاومة الفلسطينية، فقطر لديها موقف مبدئي تجاه قطاع غزة تحديداً، وقد ساندتها في العدوان السابق (٢٠٠٨ - ٢٠٠٩) في وقت تخلى عنها الآخرون، ولم تتوقف قطر عن دعم صمود قطاع غزة منذ فوز (حماس) في الانتخابات البرلمانية عام ٢٠٠٦م، وأبقت علاقاتها طيبة بكل الأطراف، وتوجت دعمها قبل العدوان بزيارة كبيرة لأمرها الشيخ حمد بن خليفة آل ثاني إلى القطاع، وتقديم دعم كبير للبنية التحتية تجاوز الـ (٤٠٠) مليون دولار، وفي هذا العدوان أيضاً أدانت العدوان على قطاع غزة، وبدأت بتحركات حثيثة لوقفه؛ حيث سارع أميرها الشيخ حمد بن خليفة آل ثاني لزيارة القاهرة، والتقى بالرئيس المصري محمد مرسى في قمة جمعه برئيس الوزراء التركي رجب طيب أردوغان، وقد ساندت قطر الموقف المصري، ويبدو أنها سلمت بقيادته للقاهرة العربية عن طيب خاطر.^[١]

ب- **الموقف التونسي:** الذي بدأ نشاطاً ويحاول أن يتلمس خطاه الأولى ليكون من العناصر الفاعلة في المشهد السياسي العربي بعد ثورة الرابع عشر من يناير التونسية، حيث زار وزير الخارجية التونسي قطاع غزة مرتين، منفرداً مرة، ثم مع وفد الجامعة العربية ثانية.

ج- **المواقف العربية الجيدة:** كما لا يمكن إغفال بعض المواقف العربية الأخرى الجيدة، مثل ليبيا والعراق التي أرسلت وفوداً كبيرة إلى غزة.

٢. الموقف الاسلامي (التركي).

بدأ الموقف التركي باهتاً في نظر بعض المحللين في هذا العدوان، مقارنة بموقفها القوي إبان العدوان السابق، على المستوى الرسمي وصل رئيس وزرائها رجب طيب أردوغان برفقة وفد كبير إلى القاهرة في زيارة معد لها سلفاً، وقد ترافقت هذه الزيارة مع الأيام الأولى للعدوان على قطاع غزة.

على أي حال يمكن القول إن الزيارة ساهمت بشكل واضح في تشكيل جبهة سياسية جديدة ضد "إسرائيل"، في مسعى لإجبارها على وقف عدوانها على القطاع، حيث تم عقد لقاء ثلاثي جمع الرئيس المصري، وأمير دولة قطر، ورئيس الوزراء التركي، لمناقشة التحركات الممكنة لوقف العدوان "الإسرائيلي" على قطاع غزة، كما التقى أردوغان خالد مشعل، وأرسل وزير خارجيته أحمد داود أوغلو إلى غزة أثناء العدوان برفقة وفد وزراء الجامعة العربية للتضامن مع غزة وحكومتها، حيث التقاهم رئيس الوزراء الفلسطيني إسماعيل هنية، كما زاروا بعض المناطق المدمرة، والمستشفيات التي شاهدوا فيها جثث الأطفال القتلى في مشهد مريع لم يستطع فيه وزير

[١] قناة الجزيرة الفضائية، نشرة أخبار الثالثة بتوقيت مكة المكرمة، قطر، (١٨/١١/٢٠١٢).

الخارجية التركي تمالك نفسه، فأجهش بالبكاء. ويفسر بعض المحللين المتابعين للموقف التركي في هذا العدوان بأنه محاولة للحكومة التركية بإفراح المجال أمام مصر الجديدة لاستعادة دورها الوظيفي والمحوري في القضية الفلسطينية، ومساندتها سياسياً، إضافة إلى سعيها لعدم تصعيد الأوضاع مع "إسرائيل"، في وقت تعاني فيه من تبعات الأزمة السورية المتفاقمة على الحدود، الأمر الذي فهمته "إسرائيل" جيداً؛ فردت بطلب الوساطة التركية مع (حماس) لوقف إطلاق النار.^[١]

سادساً: الموقف الأمريكي.

من المبكر الحديث عن تغيير حقيقي في العلاقة (الأمريكية - الإسرائيلية)؛ فالعلاقة بين الطرفين تتجاوز الاستراتيجية إلى القيم اليهودية المشتركة كما يحاول أن يصورها بعض الساسة من الطرفين، درجت العادة على وجود دعم أمريكي مطلق لـ"إسرائيل" في كل توجهاتها تجاه اعتداءاتها المنكرة على الفلسطينيين والعرب عموماً، وقد يقرأ التأييد الأمريكي لـ"إسرائيل" في هذه العملية ضمن هذا السياق، ولكن يبدو أن الموقف هذه المرة كان مع "إسرائيل" من ناحية الشكل، لكنه اختلف معها من حيث المضمون، صحيح أن الرئيس الأمريكي باراك أوباما أعطى رئيس الوزراء "الإسرائيلي" "نتنياهو" الضوء الأخضر لتنفيذ عملياته العسكرية على قطاع غزة، ودافعت مندوبة الولايات المتحدة في مجلس الأمن "سوزان رايس" عن "إسرائيل" في مجلس الأمن، وحالت دون إصدار قرار يُدينها، على اعتبار أن ما قامت به يندرج ضمن حقها في الدفاع عن نفسها. إلا أن الرئيس أوباما أعلن معارضته المباشرة لتوسيع العملية العسكرية في غزة، ثم بدأ اتصالاته مع الأطراف الفاعلة في المنطقة من أجل التوصل إلى تهدئة بين "إسرائيل" والفصائل الفلسطينية، وقد تركزت هذه الاتصالات مع الرئيس المصري محمد مُرسى للتوسط لدى (حماس) من أجل الموافقة على التهدئة، وأرسل وزيره خارجيته هيلاري كلنتون إلى تل أبيب والقاهرة لتتويج هذه الجهود بالإعلان عن وقف إطلاق النار في القاهرة خلال مؤتمر صحفي عقده مع نظيرها المصري كامل عمرو.^[٢]

وقد أوضح الطرفان أن هذا الاتفاق سيكون بضمان مصري للطرفين، وتشير بعض التسريبات أن مصر تلقت ضمانات من الولايات المتحدة بالزام "إسرائيل" وضمان تنفيذها للشروط التي تم الاتفاق عليها.

إن التباس الموقف الأمريكي في هذه المرة لا يمكن فهمه إلا من خلال تقدير المصالح الأمريكية، التي تتحدد في خمس قضايا متداولة حالياً، هي:

١. الملف النووي الإيراني.

لا يترك رئيس الوزراء الإسرائيلي "نتنياهو" فرصة إلا ويطلق تهديداته لضرب المنشآت النووية الإيرانية، وهذا ما لا تريده الولايات المتحدة، التي تستعيز عن ذلك باستخدام الدبلوماسية، والعقوبات التي تراها ذات فاعلية، وستأتي بنتائج إيجابية أفضل من العمل العسكري. إن رفض الولايات المتحدة للمواجهة العسكرية مع إيران ناتج عن الإخفاقات الكبيرة في العراق وأفغانستان، التي كلفت الإمبراطورية الأمريكية الكثير، وأدخلتها والعالم في أزمة اقتصادية خانقة؛ إذ بلغت الديون الأمريكية حوالي أربعة عشر تريليون دولار. أضف إلى ذلك أن البرنامج الانتخابي للرئيس أوباما ركز على القضايا الداخلية التي تهم المواطن الأمريكي، ووعده بإنهاء

[١] انطوان شلحت، مقابلة شخصية، مرجع سبق ذكره.

[٢] المرجع نفسه.

الحروب الأمريكية في العالم وإعادة الجنود إلى البلاد. لذلك يخشى الرئيس أوباما من إقدام "إسرائيل" على توريث الولايات المتحدة في حرب لا تريدها، سيما وهي تعرف قدرات إيران العسكرية،^[١] وإمكاناتها في إيذاء المصالح الأمريكية في المنطقة. الأمر الذي دفع الرئيس أوباما لمنح "نتنياهو" ضوءاً أخضر لضرب غزة، عندما اشتدت مطالبته بذلك.^[٢]

ويتضح من خلال مجريات الأحداث أن الضوء الأمريكي للعملية كان مشروطاً بحيث يتم تجنب المدنيين قدر الإمكان، فمن خلال رصدنا لمجريات العدوان على قطاع غزة، استشهد في اليوم الأول سبعة أشخاص، وفي اليومين الثاني والثالث كانت الأعداد متقاربة رغم كثافة النيران والقصف على غزة، ولكن بعد اليوم الثالث، وظهور إفلاس "إسرائيل" العسكري، وعجزها عن إيقاف صواريخ المقاومة، بدأت في استهداف المدنيين في محاولة منها لتحقيق نصر موهوم تسوقه لشعبها؛ الأمر الذي دفع الأطراف كلها لسرعة التحرك، بما فيها الطرف الأمريكي ومن ثم الوصول إلى وقف لإطلاق النار، ويبدو أن موافقة الرئيس الأمريكي باراك أوباما لـ"إسرائيل" على تنفيذ عملياتها العسكرية في قطاع غزة، جاء لتفيس ضغط رئيس الوزراء "الإسرائيلي" "نتنياهو"، وإبعاده عن فكرة ضرب المنشآت النووية الإيرانية.^[٣]

٢. إدراك حقيقة التغيير في مصر، وتأثيراته في قضايا الشرق الأوسط الكبرى.

لم تستطع الولايات المتحدة أن تغفل حقيقة التغيير السياسي في مصر، وأن ما قبل ثورة الخامس والعشرين من يناير ٢٠١١ ليس كما بعدها؛ وإن الموقف الحازم من القيادة المصرية تجاه العدوان على قطاع غزة، هو ما دفع الرئيس الأمريكي أوباما إلى المسارعة في الضغط على "إسرائيل" من أجل إنهاء العملية ووقف إطلاق النار، وأن التحرك الأمريكي السريع جاء لتحقيق هدفين: (تجنب تدهور العلاقات بين "إسرائيل" ومصر لدرجة يصعب إصلاحها، ومنح مصر امتيازاً لتلعب دوراً في إتمام التهدئة وتكون وسيطاً بين (حماس)، التي تربطها بها علاقات ممتازة، و"إسرائيل" التي تربطها بها اتفاقية ومعاهدة سلام، وبذلك تكون قد حافظت على مصر نوعاً ما لتبقى في الوسط، بدلاً من أن تكون بجانب الفلسطينيين).^[٤]

٣. الوضع في سوريا.

إن توسيع العملية العسكرية "الإسرائيلية" في قطاع غزة سيبعد الزخم الإعلامي العالمي عن الأحداث في سوريا، وسيعيد المشهد الفلسطيني إلى الصدارة، وهذا ما لا تريده الولايات المتحدة بحسب اعتقاد

[١] بي بي سي، الولاية الثانية لأوباما: ماذا تعني للعالم؟ على الرابط التالي،

http://www.bbc.co.uk/arabic/worldnews/2012/11/121108_obama_second_term_world.shtml

[٢] إذاعة صوت الأقصى، يديعوت: أوباما أعطى "نتنياهو" الضوء الأخضر لضرب غزة، على الرابط التالي،

<http://www.alaqsavoice.ps/arabic/?action=detail&id=103473>

[٣] مركز الجزيرة للدراسات، لعبة نتنياهو: ترجيح ضرب إيران بورقة الانتخابات الأمريكية، على الرابط التالي،

<http://studies.aljazeera.net/positionestimate/2012/09/201292494844830264.htm>

[٤] **George Friedman**, Egypt and the Strategic Balance, stratfor,

http://www.stratfor.com/weekly/egypt-and-strategic-balance?utm_source=freelist

f&utm_medium=email&utm_campaign=20121204&utm_term=gweekly&utm_content=readmore&elq=e3a1c94c2cb8494da33e4edc6ff389b6

الباحث؛ حتى تبقى الضغط على كل من يدعم النظام السوري، وتفقد الشرعية الشعبية، وخصوصاً العربية في ظل تحرك هذه الشعوب التي أصبح يُخطب ودها.

٤. الوضع في الأردن.

حالة الغليان الشعبي في الأردن تنذر بمخاطر كبيرة على "إسرائيل" والمصالح الأمريكية في المنطقة، خصوصاً في ظل حالة الغليان الشعبي، وتصاعد حدة الاحتجاجات على تردي الأوضاع الاقتصادية، وأن توسيع العملية في قطاع غزة وإطالة أمد المواجهة سيؤديان إلى خروج مظاهرات حاشدة ضد "إسرائيل"، مطالبة بإلغاء اتفاقية السلام معها، وقد يؤدي استمرار تلك المظاهرات إلى إسقاط نظام الملك الأردني عبد الله الثاني.^[١]

٥. العلاقة الشخصية بين (أوباما و"نتنياهو").

حالة الفتور الشخصي بين الرجلين ازدادت بشكل واضح بعد إقدام رئيس الوزراء "الإسرائيلي" "نتنياهو" على دعم المرشح الجمهوري للرئاسة الأمريكية "ميت رومني" في وقت كان فيه أوباما في احتياج دعم "نتنياهو"، وبالطبع هذا التوجه للأخير كان له علاقة بالملف النووي الإيراني، وبعد فوزه بولاية ثانية، لم يكن متوقفاً أن تكون العلاقة عادية، بل إن الرئيس أوباما سيحاول الرد على "نتنياهو" من خلال إفشاله في الانتخابات البرلمانية "الإسرائيلية" بطريقة ما حفاظاً على مصالح الولايات المتحدة أولاً، وقد سبق للرئيس جورج بوش الأب أن فعلها مع رئيس الوزراء "الإسرائيلي" الأسبق "إسحق شامير" في الانتخابات البرلمانية "الإسرائيلية" عام ١٩٩٢م، حينما رفض منحه ضمانات ائتمانية بقيمة عشرة مليارات دولار، لتنفيذ عمليات بناء وتطوير في "إسرائيل"، رداً على موقفه من الجهود الأمريكية للسلام في الشرق الأوسط؛ الأمر الذي أدى إلى فوز حزب العمل بزعامة "إسحق رابين" وأنتت به إلى السلطة.^[٢]

سابعاً: الموقف الدولي.

لم يكن المجتمع الدولي يسمح لـ"إسرائيل" بالاستمرار في عدوانها على قطاع غزة، مع منحها غطاءً سياسياً، وقد بدا الفرق واضحاً في سرعة التحركات الدولية في هذا العدوان، مقارنة بالعدوان السابق على القطاع (٢٠٠٨ - ٢٠٠٩)، وقد ظهرت مفاعيل هذا الموقف بشكل سريع على المستويين الرسمي والشعبي.

فعلى صعيد المستوى الشعبي كانت التحركات سريعة، فبعد انتهاء اليوم الأول للعدوان، عمت المظاهرات العارمة، والفعاليات التضامنية مع قطاع غزة أغلب دول العالم، وكان اللافت للانتباه التظاهرات الكبيرة التي عمت اليونان في اليوم الثاني للعملية برغم الأزمة الاقتصادية التي تعيشها البلاد. خروج هذه المظاهرات بهذه السرعة كان له تأثيره على صانع القرار السياسي في أوروبا الذي أدرك خطورة الوضع في الشرق الأوسط.^[٣]

[١] انطوان شلحت، مقابلة شخصية، مرجع سبق ذكره.

[٢] المشهد "الإسرائيلي"، تحليلات "إسرائيلية": نتنياهو خسر رهانه... وسيدفع الثمن!، المركز الفلسطيني للدراسات "الإسرائيلية" "مدار"، على الرابط التالي، <http://www.madarcenter.org/pub-details.php?id=409>

[٣] حنان عيسى، المواقف الشعبية الأوروبية تجاه فلسطين، هل يأتي التغيير من الغرب؟، صحيفة السفير اللبنانية، منقول عن المركز الإعلامي العربي، على الرابط التالي،

<http://www.arabinfocenter.net/pkg09/index.php?page=show&ex=2&dir=news&First=9&Last=3472&CurrentPage=17&nid=116110&nt=5&lang=1>

أما على المستوى الرسمي، فيمكن قراءة مستوى التغيير في المواقف الأوروبية، فعلى سبيل المثال أعلنت بريطانيا تفهما لموقف "إسرائيل" في عدوانها على قطاع غزة، معتبرة أن من حقها الدفاع عن نفسها، كما جاء على لسان وزير خارجيتها "وليم هيغ" الذي شدد على ضرورة إنهاء العملية، وحذر "إسرائيل" من فقدانها للدعم في المحافل الدولية، وأن بريطانيا لن تستطيع مواصلة دعمها إذا ما أقدمت على توسيع عدوانها، وتنفيذ عملية برية في القطاع. كما يمكن رصد التحركات الرسمية المتسارعة من خلال الزيارات المتعددة للمسؤولين الدوليين، فقد وصل إلى المنطقة وزراء خارجية كل من فرنسا، وبريطانيا، وألمانيا، والولايات المتحدة، إضافة إلى وصول الأمين العام للأمم المتحدة سعياً لوقف إطلاق النار.^[١]

ثامناً: الموقف "الإسرائيلي" الداخلي.

يمكن قراءة مفاعيل الموقف "الإسرائيلي"، تجاه القبول بشروط المقاومة للتهديئة من خلال النقاط التالية:

١. نفاذ بنك الأهداف للعملية العسكرية.

بعد مضي الأيام الأولى تبين أن بنك الأهداف الذي تم رسده في قطاع غزة أخذ بالنفاذ دون أن تحقق العملية أهدافها الحقيقية التي وُضعت من أجلها، فقد أشار المحلل السياسي في صحيفة يديعوت أحرونوت، "شمعون شيفر"، إلى أن الحقائق الأساسية الموضوعية أمام صناع القرار في "إسرائيل" آخذة في النفاذ، فالعملية استنفدت تفوقها النوعي الذي وضعه أمامها الجيش وجهاز الأمن، الأمر الذي يؤشر إلى فشل استخباري كبير لـ"إسرائيل" في قطاع غزة.^[٢]

٢. الخوف من التبعات السياسية لاستمرار العملية في غزة وتوسيعها.

أدركت "إسرائيل" أن الخيارات أمامها آخذة بالنفاذ، وأنه يجب عدم التلذذ في العملية، كما حدث إبّان الحرب على لبنان عام ٢٠٠٦م، وأن لدى هذه العملية محاذير يجب أخذها بعين الاعتبار، مثل:

أ- فقدان الغطاء الدولي للعملية: فقد أكد "ألون ليثيل" المدير السابق لوزارة الخارجية "الإسرائيلية"، أنه في حال إقدام "إسرائيل" على هجوم بري على غزة، فإن علاقاتها مع أوروبا ستتضرر.^[٣] كما أشار المحلل السياسي في صحيفة يديعوت أحرونوت، "شمعون شيفر"، أن الشرعية الدولية للعملية العسكرية "الإسرائيلية" على وشك الانتهاء. وبالتالي فإن أي توغل بري في القطاع ومخاطر المس بالسكان المدنيين ليسا مقبولين على أوباما وعلى نظرائه الأوروبيين. كما أشار المحلل العسكري في صحيفة "معاريف"، "عمير ربابورت"، إلى أن عملية (عمود السحاب تشرين الثاني/ نوفمبر ٢٠١٢) العسكرية وصلت إلى مرحلة مصيرية، الغارات الجوية استنفدت نفسها، وتزايدت الاتصالات من أجل وقف

[١] نبيل شبيب، المعالم الأساسية للمواقف الرسمية المعلنة وللممارسات الفعلية للمواقف وتطورها - التأثير الأمريكي والرأي العام - تأثير أطراف الصراع، مدونة مداد القلم، (بدون تاريخ)، على الرابط التالي،

<http://www.midadulqalam.info/midad/modules.php?file=article&name=News&sid=1108#a2>

[٢] المشهد "الإسرائيلي"، بعد نحو خمسة أيام من العدوان على غزة تحليلات "إسرائيلية"، عملية "عمود السحاب" استنفدت نفسها!، مرجع سبق ذكره.

[٣] ألون ليثيل، علاقات "إسرائيل" مع أوروبا سوف تتضرر في حال شن هجوم بري على القطاع، المركز الفلسطيني للدراسات

"الإسرائيلية" مدار، (ألون ليثيل: المدير العام الأسبق لوزارة الخارجية "الإسرائيلية")، على الرابط التالي،

http://www.madarcenter.org/mash_had_pdf/AI-Mashhad%2020-11-2012.pdf

- إطلاق النار. ومنذ أمس، أصبحت الكرة في ملعب المستوى السياسي "الإسرائيلي"، الذي يتعين عليه أن يقرر إمّا تسريع الاتصالات لوقف إطلاق النار، وإما شن عملية عسكرية برية".^[١]
- ب- **خطورة الأوضاع في الأردن:** حيث كانت الخشية "الإسرائيلية" كبيرة من سقوط النظام الأردني إذا ما استمرت العملية على غزة، خصوصاً في ظل الغليان الذي تشهده البلاد، جدير بالذكر أن الملك الأردني، حث "نتنياهو" على وقف العملية على غزة، خلال اتصال هاتفي بين الطرفين.^[٢]
- ج- **خطورة المواجهة مع مصر:** بعد رفض الرئيس المصري محمد مرسي لهذه العملية، وبدئه بالخطوات التصعيدية ضد "إسرائيل"، الأمر الذي قد يعرض العلاقات الباردة بين الطرفين للخطر.
- د- **إدراك "إسرائيل" أن (حماس) ستستمر في إطلاق الصواريخ:** وأنه لا يوجد لديها أية نية لأن تتوسل من أجل وقف إطلاق النار بحسب قول وزير الحرب "الإسرائيلي" "يهود باراك".^[٣]
٣. **حالة الرعب التي دبت في قلوب جنود جيش الاحتلال.**

إن قيام المقاومة بإطلاق الصواريخ وضرب العمق "الإسرائيلي" واستهداف المدرعات والآليات العسكرية وبثها عبر الإعلام، كان له أثر بالغ على معنويات الجيش "الإسرائيلي"، فالجيش الذي يراد له أن يدخل في عملية برية إلى القطاع بدأ يتنمر، ويشكو من إهمال الحكومة له بعد حشده في تجمعات قريبة من قطاع غزة، الأمر الذي سهل على المقاومة الفلسطينية لضربها، مما أوقع قتلى وجرحى في صفوفه، وهو ما دفع بعدد من جنوده للتمرد على الأوامر الصادرة لهم من الجهات العليا، التي كان أخطرها من قائد إحدى الفرق العسكرية الذي أعلن أنه لن يشارك هو وفرقته في أي عملية برية على قطاع غزة، إذا ما تم إقرارها، وقد تم التعتيم على هذه الحادثة خوفاً من انهيار معنويات الجنود.^[٤]

٤. **حالة الهلع والرعب التي سادت بين "الإسرائيليين".**

لم يكن محتملاً لدى القيادة "الإسرائيلية" بقاء ما يقرب من أربعة ملايين "إسرائيلي" تحت نيران المقاومة، خصوصاً بعد وصول صواريخ المقاومة إلى مدينتي تل أبيب والقدس، لما لهذا الأمر من تبعات اقتصادية ونفسية واجتماعية على السكان "الإسرائيليين"، نتيجة لحالة الهلع والرعب التي يعيشونها، لدرجة دفعت رئيس الوزراء "الإسرائيلي" "نتنياهو" ووزير دفاعه "يهود باراك" يهرعان إلى الملاجئ خشية الصواريخ، أذاعت بعض وسائل إعلام إسرائيلية أن الذعر انتاب رئيس هيئة أركان الجيش ووزير الطاقة.^[٥]

وقد كشف استطلاع للرأي نشرته صحيفته "هآرتس"، بتاريخ ١٩ تشرين الثاني/ نوفمبر ٢٠١٢م، يشير إلى وجود ضعف تأييد الجمهور "الإسرائيلي" لعملية برية على قطاع غزة، وأن ٣٠% فقط من الجمهور يؤيد قرار عملية برية. وبحسب الصحيفة يُعد ذلك تأييداً ضعيفاً يدل على أن الجمهور "الإسرائيلي" يفهم جيداً حجم

[١] المشهد "الإسرائيلي"، تحليلات "إسرائيلية": نتنياهو خسر رهانه... وسيدفع الثمن!، مرجع سبق ذكره.

[٢] انطوان شلحت، مقابلة شخصية، مرجع سبق ذكره.

[٣] المرجع نفسه.

[٤] المشهد الاسرائيلي، مرجع سبق ذكره.

[٥] العربية، نتنياهو وباراك يهرعان إلى الملاجئ خشية الصواريخ: وسائل إعلام "إسرائيلية" تؤكد أن الذعر انتاب رئيس هيئة أركان الجيش ووزير الطاقة، على الرابط التالي، <http://www.alarabiya.net/articles/2012/11/16/249982.html>

الثلث والخسائر من قتلى وإصابات في صفوف الجنود "الإسرائيليين" في حال تقرر شن عملية برية على غزة.^[١]

يذكر أن وزارة المواصلات "الإسرائيلية" كانت قد أصدرت قراراً بوقف ثلاثة عشر خطأ للحافلات لمنع "الإسرائيليين" من الهرب من مدنهم التي تتعرض لقصف مكثف من قبل المقاومة الفلسطينية.^[٢]

٥. تعطل المرافق العامة وازدياد الخسائر الاقتصادية.

اضطرت "إسرائيل" لوقف العمل في الجامعات ووقف الدوام في المدارس وتوقف دوري كرة القدم، والعمل في مطار بن غوريون ... الخ، نتيجة لتساقط القذائف الصاروخية، هذا بالإضافة إلى الخسائر الاقتصادية المتزايدة في وقت تعاني فيه "إسرائيل" من عجز في الموازنة، وكانت سبباً في تقديم موعد الانتخابات، فبحسب الخبراء "الإسرائيليين" وصلت الخسائر "الإسرائيلية" المباشرة للعملية على قطاع غزة إلى ما يقرب من ثلاثة مليارات شيفل (أي ما يقرب من ٨٣٠ مليون دولار) إلى جانب الخسائر غير المباشرة التي لم يتم رصدتها.^[٣]

٦. تغير أولويات "إسرائيل" تجاه إسقاط حكم (حماس) في غزة.

لم يعد ذلك هدفاً استراتيجياً كما كان في العملية العسكرية السابقة على قطاع غزة (الرصاص المصبوب ٢٠٠٨ - ٢٠٠٩م) واستعاضت عنه بتكلفة أقل ثمناً (بشرياً، ومادياً، وسياسياً) تمثل في تعزيز حالة الانقسام الفلسطيني بين الضفة القطاع، مع الحرص دائماً على إبقاء الحصار مفروضاً على القطاع، وأكد ذلك المحللان في "هآرتس"، العسكري "عاموس هارثيل"، ومحلل الشؤون الفلسطينية "أفيسخاروف"، أن "إسرائيل" ستضطر إلى اتخاذ قرارات خلال فترة قصيرة، من أجل الامتناع عن التلكؤ الذي ميّز حرب لبنان الثانية عام ٢٠٠٦، ومن الصعب أن ترى لدى المستوى السياسي أو لدى هيئة الأركان العامة وجود تحمس لشن عملية عسكرية برية: لا توجد تطلعات لإسقاط (حماس)، وإنما أمل وحسب بأن تكبح الأضرار البالغة رغبة هذه الحركة في تبادل الضربات المتواصل.^[٤] كما يشير بعض المحللين السياسيين الإسرائيليين إلى أن اغتيال القائد أحمد الجعبري جاء لضرب التيار المتشدد في قيادة (حماس)، في محاولة منها لتدجينها على غرار ما فعلته مع حركة فتح في ثمانينيات القرن الماضي، وهرعت حركة فتح للدخول في عملية سلام معها. إضافة إلى أسباب أخرى أهمها قيادته لكتائب القسام، ودوره البارز في صفقة تبادل الأسرى ونجاحه في الاحتفاظ بالجندي الإسرائيلي الأسير "جلعاد شاليط" لأكثر من خمس سنوات.^[٥]

[١] عكا أون لاين، ٣٠% من الجمهور "الإسرائيلي" فقط يؤيدون عملية برية على غزة، (٢٠١٢/١١/١٩)، على الرابط التالي،

<http://www.akka.ps/ar/?event=showdetail&seid=17418>

[٢] المرابط العراقي، مقتل ٤ وإصابة ٧٠ "إسرائيلياً" "إسرائيل" تقطع المواصلات على مواطنيها لكيلا يهربوا، ونتيهاو يختبئ بأحد ملاجئ تل أبيب هرباً من صواريخ المقاومة، على الرابط التالي، -01-06-2010-38-mainpage/almorabit-mainpage/38-2010-06-01-
<http://www.almorabit.com/main/ar/almorabit-mainpage/38-2010-06-01->

21-52-06/12127--4---70---qq-----.html

[٣] مجلة ذي ماركر، الحرب على غزة كلفت الاقتصاد "الإسرائيلي" ثلاثة مليارات شيفل، منقول عن موقع عكا أون لاين، موقع عكا، على الرابط

التالي، (٢٠١٢/١١/٢٤م)، <http://www.akka.ps/ar/?event=showdetail&seid=17457>

[٤] المشهد "الإسرائيلي"، مدار، مرجع سبق ذكره.

[٥] صحيفة القدس، اغتيال الجعبري: خطوة "إسرائيلية" قصيرة النظر، على الرابط التالي،

<http://www.alquds.com/news/article/view/id/399097>

المبحث الثالث

أهم النتائج

لم يكن انتصار المقاومة الفلسطينية في هذه الجولة من الصراع مع "إسرائيل" وليد الصدفة، بل جاء نتيجة لتراكم النجاحات في المحطات السابقة التي أسست لهذا الانتصار؛ إذ يُظهر مؤشر المقاومة الفلسطينية، التي تقودها حركة (حماس)، أنها في تصاعد مستمر نحو النجاح وتحقيق الانتصار، الذي ترتبت عليه نتائج كثيرة، كان من أهمها وقف العدوان ورفع الحصار الظالم عن أكثر من مليون وثمانمائة ألف نسمة يعيشون في القطاع. ولتوضيح نتائج هذا الانتصار سنستعرضها من خلال ثلاثة محاور، وهي على النحو التالي:-

أولاً: عوامل تحقيق المقاومة للانتصار.

لا يمكن القفز إلى نتائج هذا الانتصار للمقاومة دون الحديث عن العوامل التي أسست لتحقيقه، التي يمكن إجمالها على النحو التالي:-

١. حسم الصراع مع الراضين لوجود المقاومة.

إن تجسيد النجاح الكبير للمقاومة الفلسطينية في قطاع غزة اليوم، لم يكن ليحدث لولا تمكن حركة (حماس) من تنفيذ ما عُرف بـ(الحسم العسكري) في (١٤/٦/٢٠٠٧م) وسيطرتها على الحكم برغم كل مأساويته على المشهد السياسي والاجتماعي الفلسطيني. فسيطرة (حماس) على القطاع مكنتها من إطلاق يد المقاومة لبناء قوتها بشكلٍ فاعل ودون ضغوط، من خلال حفر الأنفاق، والتدريب على السلاح، وتهريبه من الخارج، كما ورد في بعض التقارير الاستخباراتية "الإسرائيلية" أن (حماس) استطاعت تهريب كميات كبيرة من السلاح إلى القطاع كانت تحتاج إلى عشرات السنوات لتهريبها في حال وجود السلطة الفلسطينية على رأس الحكم في قطاع غزة.^[١] وقد تضاعف دخول السلاح إلى قطاع غزة بعد العدوان الكبير عام (٢٠٠٨ - ٢٠٠٩)، حيث أُدخلت أسلحة نوعية تم تطويرها محلياً مثل صاروخ (M75) المطور عن صاروخ فجر (٥)^[٢] إيراني الصنع، يذكر أن السلطة كانت تعمل على إنهاء المقاومة الفلسطينية قبل أحداث (١٤/٦/٢٠٠٧) بشكل جدي وكبير تجسداً للاتفاقيات الأمنية الموقعة مع "إسرائيل"، وقد لمس الباحث سعي السلطة لمحاربة المقاومة من خلال اقدامها على ملاحقة عناصر المقاومة في الضفة الغربية بصرف النظر عن انتمائهم السياسي.

[١] تقرير "إسرائيلي"، التعاطم العسكري لحركة (حماس) في قطاع غزة، <http://www.terrorism-info.org.il/ar/article/19906>

[٢] صاروخ الكورنيت: صاروخ روسي مضاد للدبابات، ويمكن استخدامه ضد الأهداف الطائرة البطيئة مثل طائرات الهليكوبتر. تفوق سرعته نحو الهدف سرعة الصوت، ويتراوح مداه ما بين (١٠٠ - ٥٥٠٠ متر). يعمل في كل الظروف المناخية، دون التأثير بعوامل بيئية متعلقة بميدان القتال، ولديه قدرة اختراق تدميرية تتراوح ما بين (١٠٠٠ - ١٢٠٠ ملم) في الدروع التفاعلية المتفجرة. يستخدم صاروخ الكورنيت نظام التوجيه الليزري للتصويب، وإصابة الهدف، ويعمل بالوقود الصلب. (مدونة نيوز فلسطين، على الرابط التالي، http://newspalestina.blogspot.com/2010/12/blog-post_2973.html)

٢. دور الحكومة في غزة في دعم المقاومة.

إن امتلاك المقاومة الفلسطينية للسلح النوعي وعملها الدؤوب على تطويره محلياً لم يكن لينجح لولا وجود حركة (حماس) على رأس الحكم في قطاع غزة، حيث قدمت الحكومة في غزة كل التسهيلات التي من شأنها دعم المقاومة، التي تمثلت بما يلي^[١]:

- أ- التعامل مع رجال المقاومة باحترام وإجلال، وتسهيل كل معاملاتهم، بخلاف ممارسات السلطة السابقة التي كانت تزجهم في السجون.
- ب- استيعاب رجال المقاومة في الوظيفة العامة التي حُرِّموا منها لأسباب عديدة، بدعوى السلامة الأمنية.^[٢]
- ج- الغطاء السياسي الذي وفرته الحكومة للمقاومة، من خلال الدفاع عنها سياسياً.
- د- عمل الحكومة الدؤوب على حماية الجبهة الداخلية من خلال تجهيزتها الأمنية، وتحجيم نشاط عملاء الاحتلال، الأمر الذي وفر الحماية لظهر المقاومة، وجعلها تعمل ضد العدو باطمئنان.^[٣]
- هـ- منح فصائل المقاومة - على اختلاف توجهاتها- تسهيلات عديدة، والموافقة على تخصيص مساحات من أراضي المحررات^[٤] لإقامة مراكز التدريب العسكري عليها.
- و- تسهيل دخول السلاح ومواد البناء وغيرها لفصائل المقاومة من خلال الأنفاق التي كانت تسيطر عليها السلطة الحاكمة في قطاع غزة.
- ز- التحشيد الإعلامي والنفسي من خلال كل الوزارات المعنية، من أجل الالتفاف حول خيار المقاومة.
- ح- التعامل الإيجابي مع فصائل المقاومة أثناء الأزمات، مثل توفير المحروقات لها، في حين كانت الحكومة والمواطنون في أمس الحاجة لها.
- ط- الاهتمام الحكومي الكبير بعوائل الشهداء والجرحى والأسرى، وتقديم كل ما يمكن تقديمه لهم.
- ي- الوقوف بقوة إلى جانب المقاومة سياسياً، وتعريض حياة وزرائها وموظفيها ومقراتها للاستهداف، واعتبار نفسها حكومة مقاومة كما جاء على لسان رئيس وزرائها "إسماعيل هنية".
- ك- السماح لفصائل المقاومة بتصنيع السلاح محلياً، دون فرض أي قيود عليها، بعكس ما كانت تفعله السلطة السابقة.

٣. دور المقاومة في تطوير قدراتها.

منذ إعادة هيكلة نفسها بعد اندلاع انتفاضة الأقصى في (٢٠٠٠/٩/٢٨)، لم تدخر المقاومة جهداً في سبيل تطوير قدراتها بما يحقق لها الحد الأدنى من القوة لمواجهة "إسرائيل"، ليس من أجل تحقيق توازن القوى غير الممكن، بل من أجل تحقيق توازن الرعب، وهذا ما حققته إلى حدٍ بعيد، ومع مرور السنين، والمقاومة تراكم النجاحات، وتستخلص العبر من كل مواجهة مع الاحتلال، وفي كل مرة تطور عملها، ويعد سيطرة (حماس) على غزة عقب

[١] تم رصد هذه الأعمال من قبل الباحث.

[٢] السلامة الأمنية: إجراء كانت تتخذه السلطة الفلسطينية ضد مواطنين فلسطينيين، لمنعهم من الحصول على الوظيفة العامة، على اعتبار أنهم ينتمون إلى فصائل تعمل ضد "إسرائيل"، أو يحملون أفكاراً لا تؤمن بالسلام والتعايش معها.

[٣] تصريح لوزير الداخلية في الحكومة في غزة أثناء احتفال في فندق الكومودور بغزة، (٢٠١٢/١٢/٥).

[٤] المحررات: هي المناطق التي كانت تقام عليها المستوطنات "الإسرائيلية" في قطاع غزة، وأصبحت مناطق محررة عقب الانسحاب الإسرائيلي "منه عام ٢٠٠٥م.

(الحسم العسكري)، ازدادت قدرات المقاومة وتعززت شرعيتها، الأمر الذي ساعدها في عملية البناء الذاتي، التي كان لها عناصر الحسم في تحقيق هذا الانتصار، التي يمكن إجمالها على النحو التالي:-

- أ- القدرة على التصنيع المحلي للسلاح: لم تركز المقاومة إلى السلاح المهرب عبر الأنفاق، وإنما اعتمدت على تكنولوجيا التصنيع المحلي، لأغلب العتاد العسكري، فكان من أبرز إنجازاتها صاروخ M75 (المقاومة ٧٥) المطور عن صاروخ فجر (٥) إيراني الصنع.^[١]
- ب- تمكّنها من الحصول على أسلحة نوعية لها ميزة كبيرة في التأثير بميدان المعركة، من قبيل الحصول على مضادات الدروع، ومضادات الطائرات وغيرها مما لم تكشف عنه بعد.^[٢]
- ج- تمكّنها من حفر أعداد هائلة من الأنفاق في غزة، لاستخدامها في أعمال الإخفاء والتمويه أثناء الحرب.
- د- قدرتها على زيادة أعداد عناصرها، لدرجة يمكن اعتبارها نواة جيش نظامي للمرحلة القادمة.^[٣]
- هـ- قدرتها على تدريب عناصرها وفق أعلى المستويات.

ثانياً: تغيير قواعد معادلة (الصراع العربي - الإسرائيلي).

إن تاريخ بدء العدوان على غزة في هذه الجولة يُعدّ حاداً فاصلاً بين مرحلتين حاسمتين من تاريخ (الصراع العربي - الإسرائيلي)، فالمرحلة السابقة التي كانت تتجسد فيها متغيرات الانقسام وضعف المقاومة، والوهن العربي لم تعد قائمة، وإن المرحلة الحالية بدأت تتميز بالتأسيس لمعادلة الصراع الجديدة وفقاً لمتغيرات ثلاثة، هي:-

١. متغير الوحدة الوطنية.

سعت "إسرائيل" جاهدة إلى تمزيق الصف الفلسطيني سياسياً واجتماعياً واقتصادياً من خلال ممارساتها القمعية والتعسفية ضد الفلسطينيين خدمة لأجندتها، وهذا ما استطاعت تحقيقه على مدار السنوات الماضية، ولكن نتائج هذا الانتصار وضعت حاداً لهذه الفرقة، وجسدت الوحدة الوطنية من خلال العمل المشترك لفصائل المقاومة لصد العدوان "الإسرائيلي"، وبالمقارنة مع العدوان "الإسرائيلي" السابق على غزة في (٢٠٠٨ - ٢٠٠٩) الذي واجهته (حماس) بنسبة تزيد عن ٩٠%، نتيجة لغياب غالبية فصائل العمل الوطني، أما في هذا العدوان فكانت الصورة مختلفة، حيث شاركت غالبية فصائل العمل الوطني والإسلامي بقيادة (حماس) في مواجهة هذا العدوان.^[٤]

٢. متغير القوة العسكرية للمقاومة الفلسطينية.

على مدار سنوات الصراع الطويلة مع الاحتلال كانت "إسرائيل" تتمتع بقوة الردع الأكبر، حتى وإن ضعفت هذه القوة بعد الحرب على جنوب لبنان عام (٢٠٠٦)، وكذلك على قطاع غزة في (٢٠٠٨-٢٠٠٩)، إلا أنها تآكلت بشكل واضح بعد هذا العدوان على قطاع غزة، وإن المقاومة استطاعت تحقيق توازن الرعب الذي يبدو أنه سيكون كفيلاً بردع "إسرائيل"، وإجبارها على إعادة حساباتها.

[١] أبو عبيدة، مؤتمر صحفي للناطق الإعلامي باسم كتائب القسام، قناة الأقصى الفضائية، (٢٢/١١/٢٠١٢).

[٢] المرجع نفسه.

[٣] فتحي حماد، مرجع سبق ذكره.

[٤] مركز فلسطين للدراسات، الحرب القادمة على غزة: الأسباب والدوافع والسيناريوهات، مرجع سبق ذكره.

٣. المتغير الإقليمي.

لم يعد النظام المصري كنزاً إستراتيجياً لـ"إسرائيل" كما صرح بذلك وزير الدفاع الأسبق "بنيامين بن إيلعازر"، فقد غيرت ثورة ٢٥ يناير ٢٠١١م الموقف المصري، فبدلاً من أن يكون مسانداً لـ"إسرائيل"، كما درجت العادة، أصبح في مواجهتها، وإن بدا أن مصر لا تزال تلعب دور الوسيط، وأن المواقف الدولية أخذت في التغير، ولم تعد منساقاً وراء "إسرائيل"، برغم ما قد يراه البعض بعد تنفيذ الجيش المصري انقلابه على الرئيس محمد مرسي وعزله، وأن الحالة التي تمر بها مصر حالياً من فقدان للتوازن ما هي الا حالة طارئة سرعان ما ستنتهي لصالح مصر والقضية الفلسطينية كما تشي بذلك تجارب الشعوب السابقة.

ثالثاً: الراحون والخاسرون من هذا الانتصار.

١. الراحون.

أ- **الشعب الفلسطيني:** هو أكبر الراحين من هذا الانتصار، حيث تجسدت وحدته الوطنية والشعبية في أبهى صورها وأدابت الانتماءات الحزبية والفصائلية في ثوب الوطنية، في الضفة المحتلة وقطاع غزة وأكدت أن وحدة الشعب الفلسطيني لا يمكن أن تفكك رغم كل محاولات الاستهداف، وأعدت القضية الفلسطينية إلى موقع الصدارة لدى الشعوب العربية.^[١] لقد أسدت "إسرائيل" خدمة جليلة للشعب الفلسطيني في دفعها إياه نحو المصالحة الشعبية، والانتعاف نحو خيار المقاومة الذي أثبت قدرته على تحقيق المطالب الوطنية، والدفاع عن الحقوق المشروعة في ظل حالة الغطرسة "الإسرائيلية"، وأن هذه المصالحة ستدفع الساسة الفلسطينيين للمضي قدماً نحو المصالحة السياسية.

ب- **المقاومة الفلسطينية:** تمكنت من تحقيق توازن الرعب مع الاحتلال "الإسرائيلي" واجتازت بنجاح تجربة جديدة تؤهلها لمرحلة التحرير القادمة. كما حظيت المقاومة الفلسطينية بالتأييد الشعبي الفلسطيني الذي لم يسبق له مثيل في الساحة الفلسطينية في مواجهة القوة "الإسرائيلية" الكبيرة، وارتفاع شعبيتها في الوطن العربي، كما استعادت بريقها في عقلية فلسطيني الضفة المحتلة. فعلى مدار سنوات عديدة حاولت السلطة الفلسطينية تجريم خيار المقاومة، واعتباره مضرراً بمصالح الشعب الفلسطيني، لأنها رأت أنه لا خيار أمام الشعب الفلسطيني غير المفاوضات، كما ساعدت على فرض تكوين ثقافي في عقول أبناء الضفة الغربية عموماً، والأجهزة الأمنية خصوصاً يتمثل في تقبل الأمر الواقع في التعامل مع الاحتلال "الإسرائيلي" والتنسيق معه أمنياً لملاحقة عناصر المقاومة الفلسطينية، تحت مسمى الفلسطيني الجديد. وقد جاء انتصار المقاومة في غزة، الذي شعر فيه المواطن الفلسطيني بالعزة والكرامة، ليشكل انقلاباً مفاهيمياً كبيراً، وليعيد صياغة ثقافة المقاومة من جديد، فقد تبين للمواطنين أن المقاومة المسلحة أكثر إيلاًماً لـ"إسرائيل"، ويمكن أن تشكل رادعاً للغطرسة الصهيونية. كما أن المفاوضات ليست خياراً وحيداً، وأنه من الممكن أن

[١] شبكة فلسطين الإخبارية، أكاديميون: الحرب على غزة فشلت ومهدت الطريق أمام المصالحة، على الرابط التالي،

<http://arabic.pnn.ps/index.php/local/35096>

يسير خيار المقاومة والمفاوضات جنباً إلى جنب، بحيث يخدم كلٌ منهما الآخر. وأن الفلسطيني لا يمكن أن يتنكر لانتماءاته الوطنية، وأن ما حدث كان مرحلة طارئة من حياته.^[١]

ج- (حماس): قد تكون خسرت أحد أبرز قاداتها، ولكنها ربحت سياسياً وجماهيرياً، فعلى المستوى السياسي نجحت الحكومة في قطاع غزة باختراق الحصار السياسي المفروض عليها، مع تقاطر الوفود العربية والدولية إلى غزة، والالتقاء برئيس وزرائها ووزرائه المختصين، إضافة إلى تصدرها لمشهد المفاوضات غير المباشرة مع "إسرائيل"، للاتفاق على تفاصيل بنود فك الحصار التي وردت في اتفاق وقف إطلاق النار الذي تم برعاية مصرية. أما جماهيرياً فقد استطاعت (حماس) استعادة رضا الجماهير الفلسطينية بعد انتصار المقاومة التي تتبنى خيارها، ففي السنوات الماضية فقدت (حماس) بعضاً من شعبيتها نتيجة لوجودها في الحكم إضافة إلى حملات التشويه الإعلامي التي استهدفتها، وصورتها بأنها تمارس نفس الدور الذي تمارسه السلطة الفلسطينية في رام الله، وأنها تحارب المقاومة، وإذ بالشعب يكتشف أن (حماس) هي (حماس) التي لم تغير ولم تبدل في مواقفها، وهي من تقود المقاومة لتحقيق هذا الانتصار، كما لا يمكن تجاهل زيارة رئيس المكتب السياسي لـ(حماس) خالد مشعل لقطاع غزة للمرة الأولى منذ خمسة وأربعين عاماً، التي وصلها في السابع من ديسمبر ٢٠١٢، وسط استقبال بهيج شارك فيه مؤيدو (حماس) وعموم سكان قطاع غزة في مشهد أعاد إلى الذاكرة استقبال الرئيس الراحل ياسر عرفات حينما عاد إلى قطاع غزة عام ١٩٩٤.

د- مصر: ربحت محلياً وعربياً ودولياً، عندما استخدمت نفوذها لحماية نفسها أولاً، ثم لحماية الشعب الفلسطيني ثانياً، وقد اتضح أن مصر في حينها تسير نحو استعادة دورها القيادي والريادي في المنطقة، والتأكيد على دورها المحوري في القضية الفلسطينية، التي لا تمثل لها قضية جوار جغرافي فحسب، بل هي قضية أمن قومي بامتياز.

هـ- إيران: أيضاً هي أحد الراحين بطريقة غير مباشرة؛ فانتصار المقاومة الفلسطينية في هذه الجولة إرباكاً لكل الحسابات "الإسرائيلية" التي كانت تعد لضربة جوية للمنشآت النووية الإيرانية خصوصاً تصاعد التهديدات المتبادلة بين الطرفين، وأنه لن يكون في مقدور "إسرائيل" في ظل حالة الإرباك التي تعيشها، توجيه أي ضربة لإيران، إلا إذا أصرت قيادتها على الدخول في مغامرة غير محسوبة العواقب.

و- الرئيس أوباما: ربح على المستوى الشخصي من انتصار المقاومة الفلسطينية في هذه الجولة، التي تمكنت خلالها من إذلال رئيس الوزراء "الإسرائيلي" بنيامين نتنياهو، ووضعته في حجه الصحيح أمام العالم، في ظل غطرسته حتى أمام الولايات المتحدة الأمريكية التي تُعد الداعم الأساسي لدولته.

٢. الخاسرون.

أ- "إسرائيل": ربما يرى البعض أن "إسرائيل" ربحت في هذه العملية، مثل نجاحها في توجيه ضربة قوية لـ(حماس) من خلال اغتيال أبرز قاداتها العسكريين والسياسيين، والحصول على تهدئة من

[١] رائد نعيرات، مقابلة شخصية، مرجع سبق ذكره.

جانِب الفصائل، واختبار قبتها الحديدية، ولكن خسارتها كانت أكبر بكثير؛ فهي أكبر الخاسرين في هذه الجولة، ويمكن إجمال خسارتها في النقاط التالية:-

❖ وضع أكثر من أربعة ملايين نسمة من سكانها تحت نيران المقاومة الفلسطينية، ودخولهم الملاحيّ جِراء ذلك.

❖ زعزعة حالة الاستقرار الاقتصادي وتوقع هروب استثمارات كبيرة خلال السنوات القادمة.

❖ تآكل عنصر الردع في هذه المواجهة، لدرجة يصعب ترميمه إلا بعمل عسكري كبير.

❖ ظهور "إسرائيل" على حقيقتها أمام الشعوب العربية، بأنها دولة ضعيفة عاجزة يمكن إزالتها في حرب حقيقية واحدة، لقد استطاعت "إسرائيل" ومعها الدول الغربية وأنظمة الحكم الاستبدادية في الوطن العربي تصوير "إسرائيل" على أنها قوة لا تُقهر، وإذ بمجموعات صغيرة من المقاومة الفلسطينية تستنزفها، وتكشف بنيانها الداخلي الهش.^[١]

❖ تراجع صورة "إسرائيل" بين شعوب العالم، وخصوصاً الأوروبية التي خرجت بمظاهرات حاشدة تنديداً بالعدوان على قطاع غزة.

❖ انتهاء قدرة "إسرائيل" على نقل المعركة إلى أرضي الدول التي كانت إحدى ركيزتين من ركائز نظريتها الأمنية، وأنه من الآن فصاعداً، كل المعارك والحروب التي ستخوضها "إسرائيل"، ستكون جبهتها الداخلية طرفاً في المواجهة.

❖ تراجع ثقة الجمهور "الإسرائيلي" بالمؤسسة العسكرية "الإسرائيلية".

❖ توحّد غالبية الفلسطينيين والعرب تجاه خيار المقاومة لا السلام الذي تريده "إسرائيل".

❖ استقالة وزير الحرب الصهيوني "يهود باراك" وإعلانه اعتزال الحياة السياسية.^[٢]

ب- **محور الاعتدال العربي:** هو ثاني الخاسرين في هذه الجولة، فقد أثبتت العشرون سنة الماضية أنها

كانت مضیعة للوقت؛ لأنها لم ولن تأتي بأي حقوق للشعب الفلسطيني. وتعتبر السلطة الفلسطينية والرئيس محمود عباس أكبر الخاسرين، لأنه يُعتبر صاحب خيار السلام والمفاوضات.^[٣]

ج- **حزب الله:** إن تصدر المقاومة الفلسطينية لمشهد المواجهة مع "إسرائيل" وتجروها على كسر

الخطوط الحمراء "الإسرائيلية"، وإقدامها على ضرب العمق "الإسرائيلي" في مدينتي تل أبيب والقدس المحتلتين، جعلها تتصدر المشهد وتنال الإعجاب والتأييد العربي، الذي قارنها بحزب الله الذي كان يمتلك عام ٢٠٠٦م صواريخ قادرة على ضرب تل أبيب، إلا أنه لم يستطع أن يستعملها، أضف إلى ذلك تضرر صورة حزب الله عقب مساندته للنظام السوري، الأمر الذي أوحى للشعوب العربية، بأن الحزب لا يقاتل "إسرائيل" من منطلقات وطنية بقدر ما يقاتلها من منطلقات طائفية، وخدمة للأجندات الخارجية (الإيرانية والسورية).

[١] مركز الجزيرة للدراسات، ضرب غزة: حيرة نتنهاو بين الاجتياح والتهدئة،.. التطورات والاحتمالات،

<http://studies.aljazeera.net/positionestimate/2012/11/2012111964510470960.htm>

[٢] مدار، باراك يعلن اعتزال الحياة السياسية بعد الانتخابات المقبلة ويمتنع عن نفي احتمال عودته في المستقبل،

http://www.madarcenter.org/mash_had_pdf/Al-Mashhad%2027-11-2012.pdf

[٣] زياد اللهاليه، قراءة في النتائج السياسية والعسكرية للحرب على غزة، شبكة فلسطين للأنباء،

<http://www.shfanews.net/index.php/2012-03-03-09-52-30/14211-i>

الخاتمة

بناءً على ما قدمه الباحث من شرحٍ لمشهد العملية العسكرية "الإسرائيلية" الأخيرة على قطاع غزة وملايساتها، ثم دراسة لأهدافها، وللعوامل التي أجبرت "إسرائيل" على قبول التهدئة وفقاً لشروط المقاومة الفلسطينية، وما تحقق من نتائج وتداعيات، يمكن أن نُجمل خلاصة البحث بالنقاط التالية:-

١. برغم عدم وجود توازن في موازين القوى؛ إلا أن المقاومة الفلسطينية حققت نجاحاً مهماً في هذه الجولة من الصراع، مقابل فشل "إسرائيلي" ثاني في أقل من خمس سنوات.
٢. تعزيز خيار المقاومة لدى الشعب الفلسطيني مقابل خيار التسوية الذي لا يزال يُكرس فشله.
٣. المقاومة الفلسطينية في قطاع غزة تُحسن استغلال فترات التهدئة مع "إسرائيل" لاستثمارها في تعزيز وتطوير قدراتها العسكرية.
٤. أي تغيير سياسي في البلدان العربية ينبع من الإرادة الشعبية يخدم القضية الفلسطينية مباشرة.
٥. لم تقضِ "إسرائيل" وطرها من قطاع غزة، وبالتالي فإنها ستتحين الفرصة لشن حرب جديدة عليها، وأن هذه الفرصة مرتبطة بتضافر مجموعة من العوامل التي ستساعد على شن تلك الحرب، وهي:-
 - أ- إعادة تهيئة الجبهة الداخلية "الإسرائيلية" التي تضررت معنوياً عقب هذه العملية.
 - ب- سكون الجبهة السورية بما يخدم مصالح "إسرائيل".
 - ج- استقرار الوضع في مصر لصالح الانقلاب العسكري.
 - د- فقدان حماس وحكومتها للسيطرة أو زعزعة الاستقرار الداخلي في قطاع غزة وتشديد الحصار.

المراجع

أولاً: الدراسات والابحاث.

١. مركز الجزيرة للدراسات، ضرب غزة: حيرة نتياهو بين الاجتياح والتهديئة،.. التطورات والاحتمالات، على الرابط التالي،
<http://studies.aljazeera.net/positionestimate/2012/11/2012111964510470960.htm>
٢. مركز الجزيرة للدراسات، لعبة نتياهو: ترجيح ضرب إيران بورقة الانتخابات الأمريكية، على الرابط التالي،
<http://studies.aljazeera.net/positionestimate/2012/09/201292494844830264.htm>
٣. مركز فلسطين للدراسات، ميزان الربح والخسارة في حرب الفرقان بين "إسرائيل" و(حماس)، مركز إبداع للأبحاث والدراسات والتدريب، على الرابط التالي، -pal/http://studies.ps/data/files/balance_of_profit_and_loss_in_the_war_criterion_between_israel_and_hamas.pdf
٤. مركز فلسطين للدراسات، الحرب القادمة على غزة: الأسباب والدوافع والسيناريوهات، مركز إبداع للدراسات الاستراتيجية، غزة، فلسطين، على الرابط التالي، -pal/http://studies.ps/data/files/the_next_war_on_gaza_the_reasons_and_motives_and_scenarios.pdf
٥. المشهد "الإسرائيلي"، بعد نحو خمسة أيام من العدوان على غزة تحليلات "إسرائيلية": عملية "عمود السحاب" استنفدت نفسها!، المركز الفلسطيني للدراسات "الإسرائيلية" "مدار"، على الرابط التالي،
<http://www.madarcenter.org/pub-details.php?id=411>
٦. المشهد "الإسرائيلي"، تحليلات "إسرائيلية": نتياهو خسر رهانه... وسيدفع الثمن!، المركز الفلسطيني للدراسات "الإسرائيلية" "مدار"، على الرابط التالي، -pal/<http://www.madarcenter.org/pub-details.php?id=409>

ثانياً: التقارير.

٧. ألون لينيل، علاقات "إسرائيل" مع أوروبا سوف تتضرر في حال شن هجوم بري على القطاع، المركز الفلسطيني للدراسات "الإسرائيلية" "مدار"، على الرابط التالي،
http://www.madarcenter.org/mash_had_pdf/AI-Mashhad%2020-112012.pdf
٨. تقرير "إسرائيلي"، التعاضم العسكري لحركة (حماس) في قطاع غزة، <http://www.terrorism-info.org.il/ar/article/19906>

٩. زياد اللهاليه، قراءة في النتائج السياسية والعسكرية للحرب على غزة، شبكة فلسطين للأبناء،
<http://www.shfanews.net/index.php/2012-03-03-09-52-30/14211-i>

١٠. نبيل شبيب، المعالم الأساسية للمواقف الرسمية المعلنة وللممارسات الفعلية للمواقف وتطورها - التأثير الأمريكي والرأي العام - تأثير أطراف الصراع، مدونة مداد القلم، (بدون تاريخ)، على الرابط التالي،
<http://www.midadulqalam.info/midad/modules.php?file=article&name=News&sid=1108#a2>

ثالثاً: صحف ومواقع انترنت.

١١. إذاعة صوت الأقصى، <http://www.alaqsavoice.ps>

١٢. البديل، <http://elbadil.com>

١٣. بي بي سي، <http://www.bbc.co.uk>

١٤. سرايا القدس، <http://www.saraya.ps>

١٥. صحيفة السفير، <http://m.assafir.com/content>

١٦. صحيفة الشرق الأوسط، <http://www.aawsat.com>

١٧. صحيفة القدس، <http://www.alquds.com>

١٨. صحيفة الوسط، <http://www.el-wasat.com>

١٩. صحيفة اليوم السابع، <http://www.youm7.com>

٢٠. صحيفة فلسطين، <http://felesteen.ps>

٢١. شبكة فلسطين الإخبارية، <http://pnn.ps>

٢٢. فضائية فلسطين اليوم، <http://paltoday.ps>

٢٣. فلسطين الآن، <http://paltimes.net>

٢٤. قناة الجزيرة، www.aljazeera.net/channel

٢٥. قناة العربية الفضائية، <http://www.alarabiya.net>

٢٦. عرب ٤٨، <http://www.arabs48.com>

٢٧. عكا أون لاين، <http://www.akka.ps>

٢٨. كتائب الشهيد أبو علي مصطفى، <http://www.kataebabuali.ps>

٢٩. كتائب الشهيد عز الدين القسام، www.alqassam.ps

٣٠. مدونة نيوز فلسطين، <http://newspalestina.blogspot.com>

٣١. المرابط العراقي، <http://www.almorabit.com>

٣٢. المركز الإعلامي العربي، [http:// www.arabinfocenter.net](http://www.arabinfocenter.net)

٣٣. المركز الفلسطيني للدراسات "الإسرائيلية"، على الرابط التالي، <http://madarcenter.org>

٣٤. مركز فلسطين للدراسات، <https://www.google.ps>

٣٥. مركز الميزان لحقوق الإنسان، <http://www.mezan.org>

٣٦. لجان المقاومة الشعبية، <http://www.qaweim.com>

٣٧. وزارة الصحة الفلسطينية، <http://www.moh.gov.ps>

٣٨. وكالة معا للأخبار، <http://www.maannnews.net>

٣٩. وكالة غربة للأخبار، <http://www.ghorbanews.com>

٤٠. وكالة وطن للأخبار، على الرابط التالي، <http://65.175.115.147/new>

رابعاً: المقابلات الشخصية.

٤١. إبراهيم ابراش، ارتباط العملية العسكرية "الإسرائيلية" على غزة بجهود السلطة لنيل صفة دولة مراقب في الأمم المتحدة، مقابلة شخصية للباحث، ٢٠١٢/١١/٨، الساعة ٩:٠٠ مساءً.

٤٢. انطوان شلحت، أهداف وتداعيات العملية العسكرية "الإسرائيلية" على غزة، مقابلة شخصية عبر الهاتف، ٢٠١٢/١١/٢٧، الساعة ٩:٠٠ صباحاً

٤٣. رائد نعيرات، دوافع وتداعيات العملية العسكرية "الإسرائيلية" على غزة، مقابلة عبر الهاتف، (٢٠١٢/١١/٢٨)، الساعة: ١١ صباحاً.

٤٤. عبد الستار قاسم، العملية العسكرية "الإسرائيلية" على غزة: الأسباب والتداعيات، مقابلة شخصية عبر الهاتف، (٢٠١٢/١١/٢٨)، الساعة: ٩:٠٠ مساءً.

٤٥. محمد صيام، الأبعاد العسكرية للعدوان على غزة، مقابلة شخصية، (٢٠١٢/١١/٢٩)، الساعة: ٨:٠٠ صباحاً

٤٦. مخيمر أبو سعدة، ارتباط العملية العسكرية "الإسرائيلية" على غزة بجهود السلطة لنيل صفة دولة مراقب في الأمم المتحدة، مقابلة شخصية للباحث، ٢٠١٢/١٢/٨، الساعة ٨:٣٠ مساءً.

٤٧. مصطفى الصواف، ندوة سياسية حول العملية العسكرية "الإسرائيلية" على قطاع غزة، مركز فلسطين للدراسات، غزة فلسطين، (٢٠١٢/١١/٢٨)

٤٨. هاني البسوس، أهداف وتداعيات العملية العسكرية "الإسرائيلية" على غزة، مقابلة شخصية للباحث، (٢٠١٢/١١/٢٨)، الساعة: ١:٠٠ ظهراً.

٤٩. هشام مطر، العملية العسكرية "الإسرائيلية" على غزة، مقابلة شخصية للباحث، ٢٠١٢/١٢/٨، الساعة ٧:٠٠ صباحاً.

٥٠. واصف عريقات، الأبعاد العسكرية للعملية العسكرية "الإسرائيلية" على غزة، مقابلة عبر الهاتف، الساعة: ٩:٠٠ مساءً، (٢٠١٢/١٢/٤)

خامساً: تصريحات صحفية وتلفزيونية.

٥١. أبو عبيدة، مؤتمر صحفي للناطق الإعلامي باسم كتائب القسام، قناة الأقصى الفضائية، (٢٠١٢/١١/٢٢).

٥٢. خالد مشعل، لقاء سياسي في الجامعة الإسلامية بغزة، ٢٠١٢/١٢/٩، الساعة ١١:٠٠ صباحاً.

٥٣. خالد مشعل، برنامج حديث في العمق، تقديم علي الظفيري، لقاء تلفزيوني مباشر على قناة الجزيرة الفضائية، قطر، (٢٠١٢/١١/٢٦).

٥٤. روني دانييل، الجيش "الإسرائيلي" يحدد أهدافه، سبع خطوات تصعيدية على غزة، لقاء تلفزيوني مباشر على القناة العبرية الثانية، الساعة ٩:٣٠ مساءً، (٢٠١٢ / ١١ / ١٢).

٥٥. عبد الفتاح فايد، نشرة أخبار الثامنة مساءً بتوقيت جرينتش، قناة الجزيرة الفضائية، قطر، (٢٠١٢/١١/٢١).

٥٦. قناة الجزيرة الفضائية، نقل وقائع المؤتمر الصحفي لرئيس الوزراء "الإسرائيلي" حوالي الساعة السادسة مساءً، (٢٠١٢/١١/١٤).

٥٧. قناة الجزيرة الفضائية، المؤتمر الصحفي لرئيس الوزراء "الإسرائيلي"، الساعة السادسة مساءً، بث مباشر، (٢٠١٢/١١/١٤)

٥٨. فتحي حماد، وزير الداخلية والأمن الوطني الفلسطيني، لقاء تكريمي لأسر شهداء أبناء وزارة الداخلية والأمن الوطني، (٢٠١٢/١٢/٥).

سادساً: الدراسات الأجنبية.

59. http://www.stratfor.com/weekly/egypt-and-strategic-balance?utm_source=freelist&utm_medium=email&utm_campaign=20121204&utm_term=gweekly&utm_content=readmore&elq=e3a1c94c2cb8494da33e4edc6ff389b6